بيروت 2025

تشكيل السرد حول الحرب على وسائل التواصل الاجتماعي

فضاءات سياسية جديدة للنساء - لبنان

إعداد وكتابة **إلهام برجس**

بدعم من **صندوق الحقوق الرقمية**
DIGITAL RIGHTS FUND

جدول المحتويات

مقدمة 04

المنهجية 08

وصف العيّنة

أولاً - ناشطات، صحافيات ومؤثرات: تأطير الممارسات السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي 11

1. خلفية حول النشاطية الرقمية
2. تأطير مفهوم النشاط الرقمي وارتباطه مع النشاط السياسي في سياق ممارسات النساء خلال الحرب
3. خلفية حول المؤثر(ة) والمؤثر(ة) السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي
4. تأطير مفهوم "المؤثر(ة)" و"المؤثر(ة) السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي" في سياق ممارسات النساء خلال الحرب
5. تقاطع الأدوار وتعددها

ثانياً - مواقع التواصل الاجتماعي فرصة لتحدي الصورة النمطية حول النساء خلال الحروب 23

1. خلفية حول تشكيل نظرة نمطية لأدوار النساء خلال الحروب:
2. تطابق الأدوار التي تبنّتها المشاركات مع النظرة النمطية لدور النساء خلال الحروب
3. الحساسية الجندرية في مقاربة المشاركات للنزاعات المسلّحة
4. مساحات التمييز ضد النساء في زمن السلم ربطاً مع أثر الحرب على النساء
5. التعرّض للعنف على أساس النوع الاجتماعي
6. الرقابة الذاتية: تعريفها وممارستها من قبل النساء الفاعلات خلال الحرب

ثالثاً - التأثير على سرديات الحرب في عالم الخوارزميات الرقمي 32

1. خلفية في تعريف السردية
2. تأطير تعريف السردية في مقاربات نساء فاعلات خلال الحرب على لبنان

التعدد السردي والصراع على المعنى

السردية كفعل منظّم والسردية والسرد كفعل عاطفي

السردية كمساحة نتحمّل فيها مسؤوليات فردية

خلاصة مركّبة لتعريف السردية

3. تفاعل المتابعين والتفاعل معهم
4. الثقة بمصادر المعلومات:
5. قصص حروب لم نعشْها
6. الأثر الذي أحدثته المشاركات في السرديات المتصلة بالحرب

الخاتمة 53

مقدمة

اتخذت مشاركة النساء في المشهد السياسي في لبنان أشكالًا متعددة منذ فترة سابقة على الاعتراف بحقهن في التصويت والترشح للانتخابات. ومع ذلك، خلال فترات الحروب، يتراجع الظهور السياسي للنساء ولأدوارهن في المجال العام لمصلحة إعادة إنتاج صورة نمطية لهذه الأدوار. وتتعرّض الحركات النسائية أيضًا للإقصاء لمصلحة قيادات الأحزاب التقليدية الّذين يكون عادةً من الرجال. الأمر نفسه ينطبق لجهة الظهور على المنصات الإعلامية التقليدية بالنسبة للنساء السياسيات عموماً.

وقد أدّى التطوّر التكنولوجي في مجال التواصل إلى تعزيز قدرة النساء على الانخراط في قضايا الشأن العام، كما شكّلت وسائل التواصل الاجتماعي بوصفها مساحات خاصة وشخصية منفتحة على الفضاء الاجتماعي العام، فرصة إضافية لإبراز الحضور الفعلي للنساء في السياسة والقضايا المختلفة المتصلة بالشأن العام.

في الثامن من تشرين الأول 2023 بدأت الحرب الإسرائيلية على لبنان امتدادًا لحربها على غزة، وقد استمرت إسرائيل بتوسيع رقعة ضربتها ضمن قرى الجنوب اللبناني حتى 15 أيلول 2024، مع تركيزٍ للتدمير في قرى الشريط الحدودي، وقد أسفرت هذه المرحلة عن سقوط 645 شهيداً بينهم 40 امرأة، و1983 جريحًا بينهم 304 نساء، وبعد 15 أيلول بدأت إسرائيل بتكثيف ضرباتها في كافة أنحاء الجنوب اللبناني، ونفّذت عملية تفجير أجهزة نداء لاسلكي (pager) في 17 أيلول ما تسبّب بإنهاء حياة 9 أشخاص، كما

تسبّبت بجروح وإعاقات دائمة لما يزيد عن 2750 آخرين، لتقوم في 23 أيلول بتنفيذ أحزمة نارية عنيفة وبصورة كثيفة على كافة القرى الجنوبية اللبنانية ما أدّى إلى تزاحم الناس في حركة نزوح كارثية فقد بسببها أشخاص يعانون من أمراض مزمنة حياتهم خلالها. كما توسّعت الهجمات الإسرائيلية لتطال الضاحية الجنوبية لبيروت ومناطق مختلفة من البقاع ومحافظة بعلبك والهرمل. وانتهت هذه المرحلة باتفاق سياسي مبني على قرار مجلس الأمن 1701، وأعلن عن سريان وقف إطلاق النار بين الجانبين اللبناني والإسرائيلي في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 . وتسببت الهجمات الإسرائيلية في هذه المرحلة بإنهاء حياة 4047 شخصًا، بينهم 790 امرأة، وإصابة 16638 جريحًا بينهم 2567 امرأة.

لقد أدّى التّدهور التراجيدي منذ مجزرة أجهزة النداء اللاسلكي في 17 أيلول، إلى تحوّل في التغطية الإعلامية المحلية والدولية، التقليدية و"البديلة"، نحو التركيز على مجريات الحرب اللبنانية بعد أن كان تركيزها على الأحداث الأليمة في غزّة والمفاوضات المتعلقة بتبادل الأسرى. هذا التحوّل أيضاً أصاب المحتوى المنشور على مواقع التواصل الاجتماعي من قبل أفراد ومؤسسات إعلامية ومجموعات سياسية. وأدى عنصر الاغتيالات التي استهدفت القيادات العسكرية من الصف الأول والثاني والثالث في حزب الله، وصولاً إلى اغتيال أمينه العام حسن نصرالله، إلى إبراز الحرب على لبنان كتحوّل سياسي سيؤثر على مسار المنطقة السياسي للمرحلة القادمة.

إذن، دخلت الحرب على لبنان دائرة التركيز الاعلامي بعد 11 شهرًا من الإبادة في غزة، "الإبادة الجماعية الأولى المنقولة مباشرة عبر الاعلام". ويُردّ هذا التوصيف إلى واقع أن الجيش الإسرائيلي قد عمد إلى توثيق جرائمه في غزّة ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، من جهة. ومن جهة ثانية، بسبب استخدام هذه المواقع على نطاق واسع من قبل صحافيين/ات، وناشطين/ات في الشأن العام، إلى جانب أفراد لم يكن لهم/ن حضور واسع سابق في المجال العام، بهدف نقل معاناة سكان غزّة والجرائم المرتكبة في حقهم، وأيضاً لإلقاء الضوء والتأثير في السردية المتصلة بالقضية الفلسطينية من خلال إبراز الصوت الفلسطيني في مقابل هيمنة السرديّة الإسرائيلية. وسرعان ما تحوّلت الحرب على غزّة الى "دراسة حالة" لجهة دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل السرديات السياسية وتوسيع نطاق المشاركة السياسية للفئات المهمّشة خلال الحرب.

لقد أعادت منصّات التواصل الاجتماعي تعريف الطريقة التي تفهم وتدرك بها الصراعات، حيث برزت كأدوات قوية لنشر المعلومات، وصياغة السرديات، والتأثير على الرأي العام على نطاق عالمي، وذلك من خلال قدرتها على تسهيل مشاركة المعلومات بسرعة، واستخدام المحتوى متعدد الوسائط، و(تمكين) السرديات المُنشأة من قبل المستخدمين. هذا التحوّل الجذري في التغطية الإعلامية للحرب في غزّة، وجد امتداده العضوي في لبنان، مع بروز دور أكبر للأفراد تمحور حول نقل الأحداث لحظياً من موقعها في ظل تعذّر وصول الصحافة والاستهدافات الإسرائيلية المستمرة لطواقم صحفية. بالإضافة إلى ذلك برزت هذه المواقع كساحة لتصارع السرديات المتعارضة حول هذه الحرب في السياق الداخلي اللبناني، ولطرح سرديات تقترب إلى الوسطية باتجاهات مختلفة، ومساحة لاستقطاب التضامن الاجتماعي تجاه المهجّرين والتفاعل مع استهدافهم عسكرياً من قبل إسرائيل في أماكن لجوئهم.

وفيما ينطبق على الدور الذي أدّته وسائل التواصل الاجتماعي في الحرب على غزّة القول أنه "إعادة تشكيل طرق الشهادة والشعور واستذكار الأحداث العنيفة والصادمة، الأمر الذي يبرزها كتهديد لاحتكار وسائل الإعلام الإخبارية". أما في لبنان، فقد جاءت مواقع التواصل الاجتماعي لتسد الثغرة الناتجة عن الانقسام السياسيّ الحاد الذي عبّرت عنه وسائل الإعلام التقليدية المنخرطة في تعزيز التشنّجات الطّائفية الداخلية وإرساء خطاب الكراهية ضد فئات اجتماعية بذاتها. وفي هذا السياق أصدرت نقابة الصحافة البديلة بياناً جاء فيه:

"إننا نرفع الصوت لنحذّر من أن مهنة الإعلام باتت مهنة خطرة في لبنان. والخطر يأتي

من الإجرام الإسرائيلي والاعتداءات الميدانية والتهديدات ومن انعدام مسؤولية عدد من المؤسسات الإعلامية في الحفاظ على سلامة فرقها. وفي ظل ضعف مؤسسات الدولة، باتت ممارسة المهنة على الأرض خطراً بحدّ ذاتها، في حين أن تهمة العمالة جاهزة للصقها بكل صحافي أو صحافية، حتى إثبات العكس.. أو حتى تبني إحدى السرديات المتصارعة."

ويمكن تلخيص الانقسام السياسي لجهة حول الحرب الأخيرة بسرديّتين سياسيتين، إحداهما تضع "حرب الإسناد" في سياق الواجب والتحرّك الاستراتيجي انطلاقاً من قناعة مفادها أن الكيان الإسرائيلي سيشنّ هذه الهجمة على لبنان بكل الأحوال، والسردية الأخرى حمّلت حزب الله مسؤولية نتائج الحرب تبعاً لإعلانه حرب الإسناد. في الواقع، إن "حرب السرديات" كما أسمتها نقابة الصحافة البديلة، قد عكست طيفًا من السرديات المركّبة والتي تتداخل فيها المعطيات وتعبيرات الأفراد عنها. يتطلّع هذا البحث على فعالية مواقع التواصل الاجتماعي كمساحة للتعبير عن هذا الطيف وعن المعطيات التي تبيّن الأبعاد المختلفة في بناء السرديات واحتمال أن تخرجها من حيّز سطوة المنتصر على تكريس السرديات وتوثيقها في كتابة التاريخ.

إنّ الحرب الأخيرة على لبنان أتت في ظل ارتفاع منسوب العنف ضد النساء في النزاعات المسلحة عالمياً، مع اتصال عضوي بما تعاني منه النساء في غزة من اضطهاد في ظل الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني والتي احتلّت بتفاصيلها مواقع التواصل الاجتماعي كافّة عبر منصّات فردية لا تلتزم معايير نقل الأخبار، وقد تحتوي مشاهد عنيفة. وقد أنتجت هذه الأخبار بالطبع بيئة مشبعة بالخوف والصدمة وغيرها من المشاعر السلبية، والتي أنتجت بالطبع مخاوفاً لدى النساء تتصل باحتمال تعرّضهن لنفس أشكال العنف في لبنان.

وفيما حافظت وسائل الاعلام التقليدية على ربط التحليل السياسي وتعزيز سرديات محدّدة عن الحرب بالرجال، مع بروز حضور محدود للنساء، كما ركّزت على النساء من زاوية النازحات والضحايا أكثر من أي تصوّر آخر، حتى باتت المقاربة التي تحاول أن تكون حسّاسة جندرياً، بعيدة كل البعد عن السياق الفعلي لحال النساء في هذه الحرب والتمايز الواقعي بين الحالة في لبنان والحالة في غزّة. بالمقابل، جاءت منصّات التواصل الاجتماعي لتتيح للنساء أن يكن حاضرات من خارج الأطر المتاحة تقليدياً، فبرزن كأطراف في الاصطفافات السياسية، وكمبادِرات لتحدي السرديات المهيمنة ولطرح قضايا النساء خلال الحرب والتعبير عنها كأولوية. حتى إن تناول النساء والجمعيات المعنية بالعنف ضد النساء لهذه القضايا وربطها في الحرب، كان موضوع انقسام في الرأي بين مدافعات ومنتقدات. الأمر نفسه ينطبق على المنظمات الدولية، والحركات النسوية المحلية والعالمية التي انقسمت الآراء ضمنها واتجاهها تبعاً للموقف من القضية (الأكبر) أي الإستعمار والاحتلال وجرائم الحرب. وهكذا تحوّلت منصّات التواصل الاجتماعي إلى منبر مفتوح بحدود متفاوتة مضبوطة بتفضيلات المنصّات وقوانينها، لا تنقل الحرب مباشرةً فقط، بل تنقل الموقف منها والنقاش السياسي المتصل بها بالتوازي مع حصولها، ما يوحي أن سردية هذه الحرب تُنتج في نفس اللّحظة، وانها لا تحتاج إلى مسار زمني يتّصل بعمليات تحقق وتدقيق وآليات متصلة بالتدوين والنقاش والعبور نحو حالة من السلام التي يتمّ من بعدها تبنّي سردية تناسب حاجة المجتمع (ات) للتطور والاستمرار. وفي حالة لبنان، تكون النساء جزءًا من هذه الصناعة الآنية للسردية، ويكنّ منخرطات في حرب السرديات المختلفة في نفس اللحظة التي يفرضْن فيها سرداً ثالثاً متصلًا بدورهنّ خلال النزاع بصورة منفصلة عن الموقف الذي يحتويه هذا الدور.

وينطلق البحث من فرضيتين: إن وسائل التواصل الاجتماعي تمكّنت فعلياً من طرح سرديات أخرى من خارج السرديات المهيمنة حول هذه الحرب.لأنّ النساء كنّ معنيات باستخدام هذه المنصات كمساحة للمشاركة السياسية التي لم تكن متاحة لهن في ظل نزاعات مسلّحة سابقة، وبالتالي انخرطن في السرديات المهيمنة أو عبّرن عن سرديات متباينة عنها من جهة، ومن

جهة ثانية تمكّنّ من تحويل النظرة الى النساء خلال النزاعات المسلحة الى فاعلات مؤثرات وتوثيق هذه النظرة ممّا يجعل استبعادهنّ من السرديات التي يتم تبنّيها عن هذه الحرب أصعب من الحروب السابقة. بكلمات أخرى، تكون الفرضية أن النساء تمكّنّ من إعادة تشكيل السرديات المتصلة بالحرب على لبنان من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

للتعامل مع هذه الفرضيات يطرح البحث السؤال عن دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل السرديات السياسية المتصلة في الحرب الاسرائيلية على لبنان، ومدى فعاليتها بالنسبة لتمكّين النساء من التأثير في بناء هذه السرديات وتشكيل أبعادها بصورة حسّاسة جندريًّا. وللتمكّن من الاجابة على هذا السؤال، لا بد من المرور بالسؤال حول مفهوم النشاطات السياسية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومساحات التشابه والاختلاف بين الصحافيين والمؤثرين والناشطين السياسيين، ومتى ينطبق على الشخص وصف المؤثر السياسيّ في السياق اللبناني. أيضاً يجب فهم ما إذا كان المؤثر السياسي الرجل يختلف عن المؤثرة السياسية المرأة على مواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي ما هي العناصر التي تنقل النساء على هذه المواقع الى مرتبة المؤثرات، وهل توجد معايير شكّلت حاجزاً أمام الناشطات السياسيات من إحداث تأثير سياسي متّصل بحجم وصولهنّ الجماهيري؟ وبالطبع أخيراً، تحديد السرديات التي سيطرت على المشهد السياسي وملاحظة أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تغليب واحدة على أخرى.

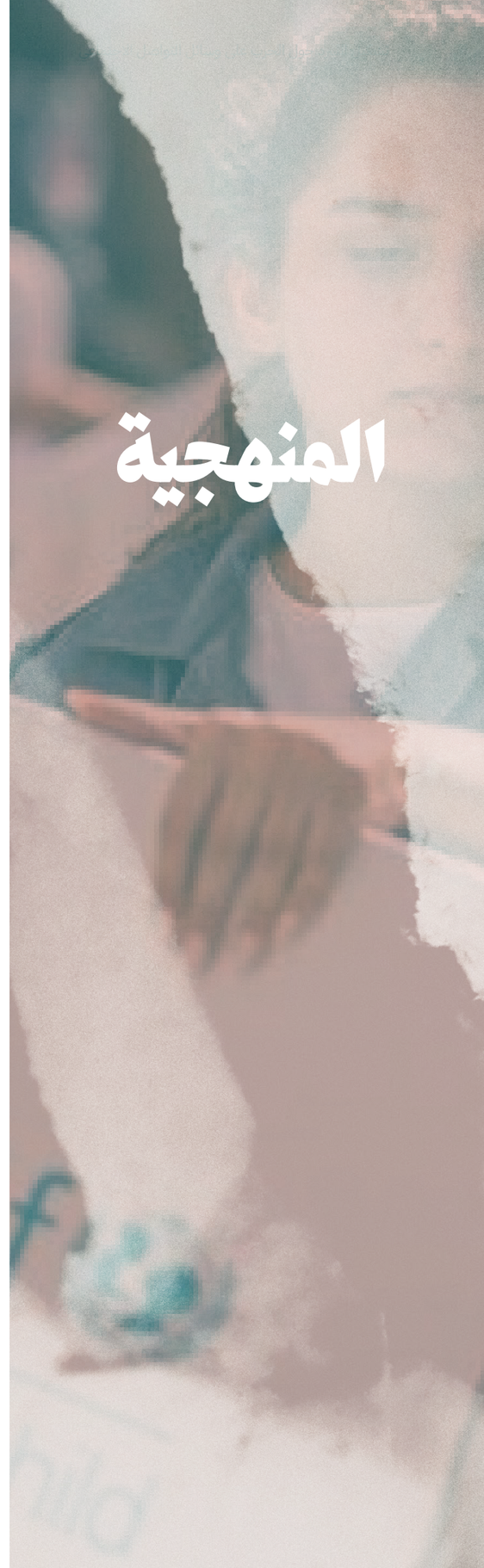

المنهجية

تتبنى هذه الدراسة منهجية بحثية مختلطة تعاين المعلومات المتوفرة والمنشورة إلى جانب الأدبيات المتصلة بالموضوع من خلال بحث مكتبي، وتستخدمها في تصميم أسئلة مقابلات فردية معمّقة مع 25 امرأة من خارج الأحزاب السياسية التي تتبنى موقفاً منحازاً لسردية من بين السرديتين المسيطرتين. المشاركات كنّ حاضرات على مواقع التواصل الإجتماعي بشكل مباشر (عبر صفحاتهن الشخصية) أو من خلال دورهن المؤسساتي (في مؤسسات إعلامية بديلة و/أو متخصصة) . وقد أدّين أدواراً بطبيعتها تحمل تأثيراً على تشكيل السردية المتصلة بالحرب. يركّز البحث على عرض تحليل مخرجات المقابلات وربطها بالأدبيات المتصلة عند توفّرها.

يساهم البحث المكتبي في وضع الإطار النظري لدور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل السرديات السياسية، وأثرها في النزاعات المسلحة والحروب؛ مع التركيز على أثر الحرب في توسيع هذه المساحات أو تضييقها للأفراد والمجموعات تبعاً لموقفهم السياسي، مكان تواجدهم/ن الجغرافي، وهويّتهم الجندرية.

أيضاً ينظر البحث المكتبي في تعريف المفاهيم الأساسية للبحث كما تقدّمها دراسات سابقة متّصلة بسياقات غير السياق اللّبناني، مثل النشاطات الإلكترونية والمؤثرين/ات والمؤثرين السياسيين/ات. وتخضع هذه التعريفات إلى اختبار مدى صوابيتها في التعبير عن المشاركات في المقابلات المعمّقة، بالتالي إلى مساءلة صوابيتها

أو الحاجة إلى تعديلها في السياق اللبناني عند التطرق إلى مسألة أثر النساء في سرديات الحرب.

وتهدف المقابلات المعمّقة إلى استكشاف موقف المشاركات تجاه أدوارهنّ على مواقع التواصل الاجتماعي خلال الحرب على لبنان، والعناصر التي يستند إليها في تقديم تعريفهنّ لهذا الدور. أيضاً يربط تحليل مخرجات المقابلات مع التأثير بالسرديات المتصلة بالحرب كهدف أو نتيجة للدور المحدد والتعريف المقدّم من قبل المشاركات، بالإضافة إلى التوصل إلى تحديد العناصر المتشابهة، وتلك المتعارضة بالنسبة لتعريفهنّ لمفهوم "السردية" بحد ذاته. بالإضافة إلى ذلك، يخوض البحث في المقاربة التي تتبناها المشاركات في تعاملها مع قضايا العنف ضد النساء، حساسيتهن تجاه القضايا التمييز وتكريس النمط الاجتماعي، والتعبير عن تجربتهن الشخصية في سياق الحرب على لبنان والأثر العاطفي في المجال السياسي (السرديات تحديداً في سياق البحث).

وتفيد هذه المقابلات في توثيق السرديات التي أرادت هذه النساء تكريسها حول هذه الحرب، والوقوف على تقييمهن للأثر الذي أحدثه عملهنّ في هذا المجال.

وصف العيّنة

يتفاوت استخدام المشاركات لمنصات التواصل الاجتماعي التي يركزْن عليها نشاطهن الرقمي بصورة أساسية بين إنستغرام، ومنصّة إكس (تويتر سابقاً) وفايسبوك، وواتساب. بعض المشاركات حاضرات على منصّتين أو أكثر. وتبرز منصة انستاغرام كأكثر منصة استقطاباً، إذ أشارت 21 مشاركة إلى اعتمادها عليها بصورة أساسية للنشر. تلتها منصة X التي شكّلت مساحة رئيسية للنشر والتفاعل لدى 11 مشاركة، فيما أظهرت 10 مشاركات تركيزًا على فيسبوك، فيما اشارت سبع مشاركات إلى استخدام واتساب كأداة تواصل ونشر، من بين المشاركات الـ 25 فقط مشتركتان اثنتان تستخدمان "تيك توك"، وأشارت مشاركتان أيضاً إلى استخدام منصة "لينكد إن".

أما من حيث عدد المتابعين، فقد تراوحت المتابعات للصفحات التي تنشر المشاركات من خلالها سواء بصورة فردية أو ضمن عمل مؤسسي، بين ألف إلى ما يتجاوز النصف مليون. وهي على الشكل التالي:

1
بين 1000 و 10,000 متابع/ة: 9 مشاركات

2
بين 10,000 و50,000 متابع/ة: 6 مشاركات

3
بين 50,000 و100,000 متابع/ة: 8 مشاركات

4
بين نصف مليون ومليون متابع/ة: مشتركتان

ويتنوّع المضمون الذي تنتجه المشاركات على مجموعة من المحاور التي تتقاطع في الكثير من الأحيان. إذ تستخدم بعضهن منصات التواصل الاجتماعي للتعبير عن تجارب شخصية، وطرح مواضيع تتعلق بالصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية، وربط التجارب الفردية مع قضايا عامة. وتركّز غيرهنّ من المشاركات على القضايا السياسية على المستويين المحلي والإقليمي، لا سيما ما يتصل بالوضع اللبناني الداخلي والقضية الفلسطينية. في هذا السياق تستخدم المشاركات مواقع التواصل الاجتماعي لنشر تحليلات وآراء وتعليقات مرتبطة بهذه السياقات، أيضاً لنشر أعمالهن الصحافية أو البحثية. تحضر القضايا الحقوقية وموضوع حقوق الإنسان بصورة واسعة بين أغلبية المشاركات، وتركّز بعضهن محتواها على النوع الاجتماعي، والفئات المهمشة؛ بينما تركّز أخريات على الجوانب الاقتصادية، خاصة تلك المتصلة بالاقتصاد السياسي، العدالة الاجتماعية، والقدرة الشرائية، ما يعكس بعدًا نسويًا واجتماعيًا متشابكًا. ويتّسم المحتوى الذي تنشره بعض المشاركات بالتخصص، تحديداً في المجال القانوني ومجال التخطيط المدني ورصد السياسات العامة والبيئة المدينية ضمناً. ويتخذ البعد التخصصي في حالة بعض المشاركات توجّه العمل النقابي، بما في ذلك حماية الصحافيين، الحق في الوصول إلى المعلومات.

على اختلاف المواضيع التي تركّز عليها المشاركات لجهة المحتوى الذي تنشره على مواقع التواصل الاجتماعي، تتنوّع أيضاً أدوات تعبيرهن، وتعتمد بعض المشاركات على سرد القصص الفردية كأداة للتأثير، بينما تلجأ أخريات إلى أدوات فنية مثل الكومكس، السرد البصري، والستاند أب كوميدي للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية بطريقة إبداعية وساخرة. بالإضافة إلى نشر التقارير المصوّرة، والمكتوبة والأبحاث، والتغريدات، وإعادة نشر محتوى متوفّر.

أولاً – ناشطات، صحافيات ومؤثـرات

تأطير الممارسات السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي

لقد نقلت منصات وسائل التواصل الاجتماعي الحروب والصراعات من ساحات المعارك إلى الفضاءات الإلكترونية. إن الدور المتنامي لوسائل التواصل الاجتماعي في الحروب والصراعات أدى إلى ظهور مجال دراسي حول "معلومات الأزمات". إن الأهمية المتزايدة لوسائل التواصل الاجتماعي والشبكات الرقمية في تحريك الرأي العام من قبل مجموعات الاحتجاج، والحركات الاجتماعية، والثوّار، بالاضافة الى أعمال مراقبة المعارضين والمحتجين الفاعلين من قبل الأنظمة والحكومات تُحوّل ديناميكيات الصراعات المعاصرة[1].

وعبر حسابها على موقع "إكس" إعتذرت مراسلة الـ "سي أن أن" سارة سيدنر بما يتعلق بتغطيتها عملية "طوفان الأقصى" في السابع من أوكتوبر 2023، وغرّدت "بالأمس، قال مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي إنهم يؤكدون أن حماس قطعت رؤوس الأطفال. لكن اليوم تقول السلطات الإسرائيلية إنها لا تستطيع تأكيد المعلومات المتعلقة بالأطفال المقطوعة الرأس. يجب أن أكون أكثر حذرًا في ما يتعلق بالصياغة في المستقبل.. وأنا أعتذر".

وتعتبر منصّة "X" الوسيلة الأفضل لاستيعاب المشاركة السياسية عبر الانترنت والأنشطة السياسية. بحيث تتيح "X" فرصًا للحوار الشبكي غير متأثرة بالحدود الاجتماعية أو القيود الجغرافية والزمانية. يُعد "X" باعتباره مساحة عامة مترابطة مثيرًا للاهتمام نظرًا لشعبيته وخصائصه التي توفر وتطور وتحدد علاقة أقرب

[1] Riaz, S. (2021, December). How social media is shaping conflicts: Evidences from contemporary research. Journal of Peace Development & Communication

وأكثر مباشرة بين الناخبين والسياسيين، ما يربط الناس العاديين بالأشخاص المشهورين والأقوياء والمؤثرين، حتى يصفه البعض بأنه أداة سياسية لنشر المعلومات، وتحفيز الناخبين، والتفاعل مع الجمهور، وتخصيص وتفصيل أسلوب الحملة للمرشحين السياسيين (كوريل، 2020)[2] . بهذا المعنى، يكون لجوء سيدنر الى حسابها الخاص على منصة من منصات التواصل الاجتماعي للاعتذار عن خطأ مهني بحت متصل بعملها الصحفي في تغطية نزاع مسلّح، إنعكاس لمدى التداخل بين العالمي الاعلام التقليدي ومنصات التواصل الاجتماعي، ويشكّل تعبيراً عن مدى التداخل بين العمل الصحفي والنشاطية الرقمية والتأثير السياسي عبر مواقع التواصل الاجتماعي. أما لجهة زاوية النوع الإجتماعي، فيلاحظ في هذا المثال فقط، التبدلات الجذرية للأدوار الاجتماعية في سياق الحرب، في المجال الرقمي، أي من خلال انخراط سيدنر في تضخيم حجم الأخبار الكاذبة، ثم التراجع عنها، كانعكاس لموقف الحكومة الإسرائيلية وتصريحاتها، وليس من خلال ممارسة مهنية أو تعبير عن توجّه سياسي يناضل لأجل السلام.

ربما يسهل تحديد من هو الصحافي ومدى خضوعه لأخلاقيات المهنة عند قيامه بعمله لصلحة وسيلة اعلامية، ولكن يصعب بالمقابل وصف المضمون الذي ينشره على حساباته الخاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومدى تشكيله جزءاً من عمله الصحفي أم أنه تعبير فردي لا يتصل بصفته المهنية. ويكون الأمر أكثر تعقيداً بالنسبة للأشخاص الذين يقومون بأعمال تتطابق مع فحوى العمل الصحفي لجهة نقل الخبر أو المعلومة، من دون أن يكون الشخص ممتهنا للصحافة أو يعمل في مؤسسة اعلامية، وهو ما بات يصطلح على تسميته "صحافة المواطن". وما بين الإتاحة العامة لمساحات التأثير والتعبير على مواقع التواصل الإجتماعي، واستمرار مقاربة الأفراد من زاوية أدوار نمطية والتفاعل معهم/ن تبعاً لها، تنسحب هذه التحولات إلى مقاربة النساء للحروب ومقاربة المجتمع والسلطة لأدوارهن فيها، وذلك تبعاً لتعبيراتهن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والتي لم تكن متاحة بنفس الطريقة قبلها. وعليه، لا تكون الصحافة وممارساتها خلال الحروب هي التعديل الوحيد المستجد والمؤثّر في تشكيل السرديات، إنما الأدوار النمطية المتصلة بالحرب كمفهوم يتعلق بالذكورة والسلام كمفهوم مركّز في الأونوثة، والأدوار النمطية بصورة عامة خلال الصراعات، والمشاركة في القرار السياسي وصناعة الحرب وتعزيز السلم وتأييد الحق بالمقاومة، جميعها، منخرطة في إعادة تشكيل المنطق المنتج للسرديات المتعلّقة بالنزاعات المسلحة.

مجرّد التعبير عن الرفض يشكّل نوعًا من المقاومة السياسية والفكرية ضد الأطر الاستعمارية والعنصرية المسيطرة على السرديات

في ظلّ النزاع المسلح، بدأ المؤثرون بنقل الخبر إما مباشرةً أو بنسخه والتعليق عليه صوتياً أو بشكل مكتوب، فبات المحتوى الذي ينشرونه يتضمن نقل خبر سياسي وتحليله أو التعليق عليه أو تعزيزه بمعلومات أو سياق يوضحه، وهو ما يشبه انتاج تقرير اخباري. والحال أن المؤثر/ة السياسي أيضاً بات يستخدم أدوات العمل الصحافي. وبينما كان الإعلام التقليدي سابقًا هو الجهة التي تطرح سرديات النزاعات، وترسم أدواراً نمطية للأفراد ضمنها، تبعاً لجنسيتهم أو اثنيتهم أو نوعهم الاجتماعي، محددةً التصوّرات حولهم بين مجرم وضحية، إرهابي وتحرري، رجعي وتقدُّمي. كما أن هذا الإعلام كان ينخرط في الترويج لطرف ضمن آليات واضحة وصريحة

[2] Prawira, Y., Sumartias, S., Suryana, A., & Damayani, N. A. (2024, August). Political influencers in online political participation: Strategies and challenges on social media platforms. International Journal of Religion, 5(10), 5485-5494

لصناعة البروباغندا الاعلامية لصالح أطراف النزاع. بالمقابل، وفي حالة الحرب الاسرائيلية على غزة ولبنان، خرجت صناعة السردية من غرف التحرير وغرف الأخبار إلى كل يد تملك هاتفاً ذكياً وتقرر استخدامه، وهو ما فتح باباً للتفكير في إمكانية صناعة السردية حول النزاع ورسم أدوار المنخرطين/ات فيه من زاوية أوسع وأقل هرمية تبعاً لخروج الرأي العام من موقع التلقّي إلى موقع التفاعل والتعليق وأحياناً صناعة رأي عام من داخله.

على الرغم من أهمية مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للناشطين/ات السياسيين/ات باعتباره مساحة للترويج لخطاب سياسي وسرديات محددة حول النزاع في سياق فكري يتبناه تنظيم سياسي أو للترويج لمقاربة فكرية سياسية معينة، بالمقابل تبرز هذه المنصات كمساحة للمؤثرين/ات للتعبير عن رأيهم/ن الشخصي بصورة فردية مستفيدين من ثقل قاعدتهم الجماهرية المتمثلة بعدد المتابعين/ات. بهذا المعنى، لا تعود المؤسسات الاعلامية وحدها تملك قوة بناء السردية المتصلة بنزاع مسلح، ولا تكون المنظمات السياسية والناشطين المدافعين عن اتجاهات فكرية واضحة هي العقبة الوحيدة أمام احتكار قدرة بناء سردية بعينها، وإنما يصبح كلا الطرفين بما يطغى عليهما من شكل تنظيمي ولو أولي، بمواجهة حالة عامة غير منظمة تملك القدرة على تعديل السرديات واعادة انتاجها، أو حتى نفي امكانية تكريس سردية واحدة.

وفي محاولة لتأطير الممارسات السياسية التي قامت بها المشاركات ضمن أدوار مختلفة متصلة بالتأثير في السرديات حول النزاعات المسلحة. تم اقتراح مجموعة من التصنيفات ذات الصلة وهي: التغطية الصحافية، والنشاط السياسي، والنشاط الرقمي، والتحليل ونشر الآراء السياسية (دور واحد)، والتأثير عبر مواقع التواصل الاجتماعي، الذي اقترح ضمن دورين: مؤثّرة ومؤثّرة سياسية. كما ترك للمشاركات أن يضفن دوراً من خارج التصنيفات المقدّمة لتوسيع حيّز الفهم لمقاربتهن الشخصية حول أدوارهن خلال الحرب وكيفية انعكاس هذه الأدوار على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد وجدت معظم المشاركات أن الدور الذي لعبته يمتد إلى عدّة تصنيفات، ولا ينحصر في تصنيف واحد.

و تبنّت 12 مشاركة خيار "تغطية صحافية"، و5 تبنّين دور "ناشطة سياسية"، فيما تبنّت 6 مشاركات دور ناشطة رقمية، و7 مشاركات تبنّين دور مؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي، أما لجهة مؤثرة سياسية على مواقع التواصل الاجتماعي فقد تبنّته 7 نساء أيضًا وهن لَسْن بالضرورة نفس اللواتي اخترن الدور السابق. وأخيراً تبنّت 9 نساء دور "تحليل ونشر آراء سياسية". أما الأدوار الإضافية التي تعكس ممارسة قامت بها بعض المشاركات خلال الحرب وتتصل باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، فقد شملت التوثيق، و صناعة محتوى وسرد القصص، و"الحكي" (التعبير بالكلام)، و"خلق مفارقات (Nuances) بالنسبة للقضايا المشتعلة، والحفاظ على وجود موقف يتبنى أدبيات سياسية تفترضها وتتطلبها الحرب. أيضاً ركّزت بعض المشاركات على الاستجابة والعمل المباشر على الأرض والاستجابة الطارئة في مجال حماية الصحافيين/ات".

1 خلفية حول النشاطية الرقمية

في مقالها عن "التحول الرقمي والنشاط النسوي على وسائل التواصل الاجتماعي في لبنان" تعرّف سالي حمود منصات التواصل الالكتروني باعتبارها "وسيلة قائمة على الإنترنت تتيح تبادل المعلومات بين شبكة من الأشخاص الذين يتواصلون ويتفاعلون من خلالها، تشمل هذه الوسائل عدة منصات تسمح بإنشاء المعلومات ومشاركتها ومناقشتها والتواصل وتبادل الأفكار والتجارب ووجهات النظر بطريقة سريعة وفعّالة مع مستخدمين مختلفين، وتعزّز هذه المنصات التفاعل بينهم من خلال التواصل السريع

[3] Hammoud, S. (n.d.). Digital Transformation and Feminist Activism on Social Media in Lebanon. University lecturer at American University of Beirut, Lebanese American University, and American University in Dubai

والفوري وتقديم الملاحظات بشكل لحظي[3].

تبعاً لسهولة التواصل عبر هذه المنصات مع أعداد أكبر وضمن مساحات جغرافية أوسع، بدأ النشاط السياسي وتطوير السياسات العامة وكافة المسائل التي تشكّل المجال العام، تتحول نحو منصات التواصل اسلاجتماعي لتظهر كبديل للشارع في الكثير من الأحيان، وتدخل الى غرف صناعة القرار وينخرط مستخدميها في هذه العملية من خلال التعبئة والتأثير. ومن خلال تجاوز عقبات مثل المسافة والجغرافيا، نجحت تطبيقات مثل واتساب، وفيسبوك، وتويتر، وإنستغرام في إنشاء منصة تُحوّل القضايا المحلية إلى اهتمامات عالمية، وتربط الناشطين المحليين بالمواطنين العالميين.

في هذا السياق بدأ مصطلح النشاط الرقمي أو النشاط الإلكتروني يكتسب معنى في دراسة الحراكات الاجتماعية والسياسية. والنشاطية الرقمية تشير الى النشاط السياسي على الانترنت أو الحركات السياسية التي تعتمد على شبكة الانترنت؛ بهذا المعنى يمكن تعريف النشاطية الرقمية انطلاقاً من الممارسات الالكترونية، ومنها مثلاً الأفعال السياسية القائمة على التجمّع وتحفيز الجماهير والتي تشكّل نسخًا رقمية عن أدوات النشاط التقليدي، مثل انشاء العرائض وتنظيم الاحتجاجات، بالإضافة الى استخدام التقنيات الرقمية لدعم أو تحضير النشاطات الميدانية، الأمر الذي اعتمد عليه في الحراكات اللبنانية بصورة مكثّفة منذ عام 2015 مع اطلاق حملة "طلعت ريحتكن". ومن أشكال النشاطية الرقمية أيضاً حملات المناصرة الالكترونية التي تهدف لإحداث تأثير على صعيد موضوع سياسي محدد. أيضاً من أشكال النشاطية الالكترونية "الاحتجاجات اللفظية واسعة النطاق"، أيضاً تشكّل قرصنة المواقع الالكترونية أداة للنشاطية السياسية، وهي من الأدوات الواسعة الاستخدام خلال الحروب. وذهب البعض الى اعتبار مشاركة مستخدم لمنشور موجود على المنصات الالكترونية تشكل ممارسة لنشاط سياسي قائمة على تضخيم قوة هذا الرأي. هذا فضلًا عن إنشاء المحتوى، وجمع التبرعات إلكترونيا، وتحقيق الانتشار (exposure) و النشاط الذي يوزّعه الروبوت (Botivism)، كما ذهب البعض الى اعتبار أن مجرد النقر هو تحوّل الى ممارسة للنشاط السياسي (clicktivism) معبّرين من خلال هذه التسمية عن نقدهم لفكرة النشاطية الإلكترونية واعتبارها نشاطية قائمة على البلادة، وعلى "التعليقات ذات الجودة المنخفضة، والمتكررة، والعامة التي لا تحمل أي وزن"

وتعريف النشاط الرقمي تبعاً للممارسات وحدها يظل إشكاليًا، بحيث إنّه لا يوضح عند أيّ حدّ تتحوّل كل الممارسة الى نشاطية، أيضاً بعض الفئات بحد ذاتها تقع ضمن تصنيفات مختلفة ما يؤدي الى السؤال عن مدى صوابية ادراجها ضمن النشاطية الالكترونية، مثلاً القرصنة التي تعتبر أيضاً جريمة سيبرانية يعاقب عليها القوانين. بالتالي، فان هذه الممارسات تطرح اشكالية تصنيفها وتحديد بعدها الجماعي واتصالها بالشأن العام والسياسات العامة. هذه الفئات هي: المناصرة والتعليق السياسي (advocacy and political commentary)؛ الاستقطاب وبناء الحركات (recruitment and movement-building)؛ التنظيم والتنسيق (organisation & coordination)؛ العمل المباشر عبر الإنترنت، القرصنة كفعل سياسي، والعصيان المدني (online direct action, hacktivism, and civil disobedience)؛ البحث والتوثيق (research and documentation). تُستخدم هذه الفئات لتقديم نظرة عامة عن الممارسات العديدة التي يُعتقد أنها تتعلق بطيف النشاط الرقمي الواسع والقضايا المفاهيمية التي ترافق هذا التعميم.

2

تأطير مفهوم النشاط الرقمي وارتباطه مع النشاط السياسي في سياق ممارسات النساء خلال الحرب

وعلى الرغم من اندراج الممارسات التي قامت بها المشاركات خلال الحرب ضمن هذه الفئات، إلا أن فقط 6 من بينهن اعتبرت أن تعريف "ناشطة رقمية" يعبّر عنها. ولم تعتبر أي من المشاركات أن

تصنيف "ناشطة رقمية" وحده يمكن أن يصف الدور الذي قامت به، أو أن يصف دورها بشكل عام. هذا الأمر ينطبق على كل باقي الأدوار المقترحة، ما يوحي بكون النساء اللواتي تولّين أدواراً مؤثّرة خلال الحرب، لم يكن دورهنّ مختصراً بممارسة وحيدة، إنما كانت دائماً متعددز الجوانب.

عبّرت بعض المشاركات أن دورهن يكمن في توثيق "الواقع البشري" خلال هذه الحرب، لا بهدف تقديم تحليل سياسي تقليدي، بل للحفاظ على الذاكرة وخلق مساحات للتعاطف والفهم. ويعبّر هذا التوجّه عن ميل لاستبعاد المواجهة، بإخراج توثيق متصل بنزاع مسلح من حيّز الفعل السياسي على هذه المنصات، وتحديده في إطار ممارسة السرد القصصي والتعبير الوجداني. بالمقابل، عبّرت بعض المشاركات أنها استخدمت منصات التواصل الاجتماعي كأداة لرواية تجارب الناس بصيغة قصصية كمحاولة لمقاومة نمطية التعامل مع قضايا المهجّرين عموماً وقضايا وصورة النساء في الحرب. ويتضح هنا أن تأويلات المشاركات حول أداة السرد القصصي كأداة توثيقية خلال الحرب، لم تصنّف بالضرورة كونها أداة سياسية أوممارسة لنشاط سياسي.

أيضاً عبرت مشاركات عن ممارسة للعمل التوثيقي كفعل بحثي وسياسي، يركّز على جوانب مختلفة من بينها الدور القيادي للنساء خلال هذه الحرب. وتصف إحدى المشاركات التكامل بين التوثيق البحثي ذي البعد السياسي، مع التعبير عن الرأي بصفته دوراً بحد ذاته. تقول أن "مجرّد التعبير عن الرفض يشكّل نوعًا من المقاومة السياسية والفكرية ضد الأطر الاستعمارية والعنصرية المسيطرة على السرديات". وقد استخدمت في هذا السياق مفاهيم نقدية مثل "التلاعب بالعقول" (Gaslighting) و"النرجسية الغربية" التي تتفاعل مع أشكال خفية من العنف الرمزي، وهو ما يترجم على مواقع التواصل الاجتماعي وفي جميع مجالات تغطية الحرب.

من خلال التوضيحات التي قدّمتها المشاركات، تبرز محاولة لإعادة تعريف النشاط السياسي في سياق الحرب، بحيث يشمل المواقف الشخصية والتضامن الإنساني، وينفصل عن كثافة الحضور الرقمي أو التفاعل الإعلامي، كما أنه لا يقتصر على تقديم محتوى إعلامي أو تحليل سياسي، بل يسعى إلى إنتاج معرفة اجتماعية وسياسية نقدية تهدف إلى مواجهة السرديات المهيمنة والمضللة. وتقود التعريفات التي قدّمتها المشاركات لدور "الناشطة السياسية" و"الناشطة الرقمية" إثر اختيارهن له كممارسة قمن بها خلال الحرب، إلى استخلاص الفهم التالي لهذين المصطلحين.

ناشطة سياسية

تربط المشاركات اللواتي عرّفن أنفسهن ك "ناشطات سياسيات" هذا الدور بـ"المشاركة في الحياة العامة والتأثير في النقاش السياسي". ويتفاوت المقصود بالنقاش السياسي فيما بينهن لجهة المضمون، فيشير إلى "السياسة بمعناها الضيّق" بالنسبة للبعض، وإلى السياسة بمعنى "مناهضة الاستعمار" بالنسبة لغيرهن، والسياسة بمعنى "قضايا النساء والفئات المهمشة". "انا أتعاطى مع الشأن العام خلال الحرب، بكامل التفاصيل، خاصة ما يتعلق بالنساء، وهذا في صلب النشاط السياسي". ويمكن أن تكون النشاطية السياسية من خلال "التواجد الميداني"، كما يمكن أن تكون عبر "الخطاب العام": "أعتبر نفسي ناشطة سياسية، ليس فقط لكوني أتبنى موقفاً سياسياً، بل لأنني أعمل على تفكيك الخطاب الذي يحاول أن يحيّدنا" ويفهم من مداخلات المشاركات، أن تبنيهن لهذا الدور يتصل بوعيهن لمضامين ممارسة النشاط السياسي ورؤيته ضمن إستراتيجيات: "أنا أدافع عن قضية وطنية مثلما أدافع عن قضايا حقوقية تتصل بفئات كبار السن أو النساء". ويلاحظ أن النشاط السياسي يكتسب معناه بمعزل عن التنظيم السياسي بالنسبة للمشاركات، بمعنى قبول النشاط السياسي كفعل فردي بمجرّد وعي الناشطة بالمسارات التي تسلكها وتبنيها لاستراتيجيات ذات أهداف واضحة لها. إذن، يضاف إلى تعريف الناشطة السياسية أنها تمارس للنشاط من موقع سياسي واعٍ يتجاوز العمل الإنساني في سياق الحرب الأخيرة، ويرتبط بالموقف من الحرب والاحتلال وحقوق الناس

والعدالة: "نشاطي سياسي لأنه مرتبط برفض الحرب وبتفكيك الخطاب الموجّه ضد المدنيين".

كخلاصة، يمكن تعريف "الناشطة السياسية" بناءً على المقابلات المعمّقة كالتالي:

الناشطة السياسية تشارك في الحياة العامة وتحدث تأثيرًا في النقاش السياسي تبعًا لممارسة واعية من موقع سياسي واعٍ. في سياق الحرب يضم النشاط اسياسي العمل الإنساني، ويتجاوزه إلى الانخراط في مواضيع السياسة الداخلية والإقليمية، أيضاً السياسة ببعدها الاجتماعي المتصل بقضايا الجندر والفئات الاجتماعية المهمّشة، وقضايا مناهضة الاستعمار. في هذا السياق، يعتبر التواجد في الميدان شكلًا للنشاطية السياسية، كما التأثير بالخطاب العام، كما يمكن أن تكون الممارسة بصورة فردية أو من خلال الانخراط في تنظيمات سياسية على حدٍّ سواء.

ناشطة رقمية

تربط المشاركات اللواتي عرّفن أنفسهن كـ "ناشطات رقميات" هذا الدور بـ "استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في سياق سياسي واضح: "ناشطة رقمية لأنني خلال الحرب كنت ناشطة لجهة استخدام منصات التواصل الاجتماعي." وتذهب معظم المشاركات إلى تحديد شروط ممارسة النشر التي تحوّل مستخدم/ة منصات التواصل الاجتماعي إلى "ناشط(ة) رقمي(ة)" حيث تحدد أن هذا النشر يتضمن معلومات، والمشاركة في النقاشات، والتشبيك، وإعادة نشر محتوى يوثّق الأحداث أو يعبّر عن مواقف سياسية: "إنتاج معرفي وتشبيك وإعطاء منصات ومشاركة محتوى من مجموعات ثانية." وتتضمن النشاطية الرقمية بالنسبة للمشاركات عنصر ممارسة التأثير والمناصرة من خلال الفضاء الرقمي:"الناشطة الرقمية ليست التي تكتفي بـ إعادة النشر (share) بل التي تحاول أن تحشد وتتكلّم وتفسّر." وتضيف بعض المشاركات رابطة شرطية بين هذه الممارسة والتحريض على الفعل والتحرّك في الشارع، وإعادة النشر: النشاط الرقمي بدون تواجد فعلي على الأرض غير كافٍ". يترافق النشاط الرقمي أحياناً مع شك تجاه مفهوم "الافتراضية" وتناول نقدي لهذا العنصر عندما يتصل بالنشاط السياسي."قمت بالتطوّع للمساعدة في مراكز الإيواء، وكنت أحفّز الناس لكي ينضموا ويساعدوا، لدي شك بمفهوم النشاط الرقمي عندما يحصل فقط في العالم الافتراضي.. لكنني أيضاً لا أقلّل من قيمته."

قمت بالتطوّع للمساعدة في مراكز الإيواء، وكنت أحفّز الناس لكي ينضموا ويساعدوا، لدي شك بمفهوم النشاط الرقمي عندما يحصل فقط في العالم الافتراضي.. لكنني أيضاً لا أقلّل من قيمته

كخلاصة، يمكن تعريف "الناشط(ة) الرقمي(ة) بناءً على المقابلات المعمّقة، كالتالي:

استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في سياق سياسي محدّد عبر نشر المعلومات والمشاركة في النقاشات والتشبيك والمناصرة ومحاولة التأثير بهدف التحريض على الفعل والتحرّك في الواقع. إن حصر النشاطية الرقمية في المساحات الرقمية من دون ربطها باستراتيجيات متصلة بالتحرّك في العالم الواقعي يجعل هذه النشاطية موضع شك، ويحتمل أن يفقد الدور معناه فيتطابق الفعل السياسي الرقمي في هذه الحالة مع الاستخدام العادي لمواقع التواصل الاجتماعي.

3 خلفية حول المؤثر(ة) والمؤثر(ة) السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي

تمتلئ منصّات التواصل الاجتماعي بالمؤثّرين/ات. ويُعرف المؤثر/ة على وسائل التواصل

الاجتماعي بأنه فرد أو مجموعة قامت ببناء قاعدة جماهيرية كبيرة وموثوقة على هذه المنصات، بحيث يتمكنون من "ممارسة تأثير كبير على قرارات متابعيهم والمستهلكين الآخرين". والمؤثرون هم العادل الرقمي للتسويق الشفهي، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى الثقة التي يبنونها مع جمهورهم. من منظور اقتصادي، يشارك المؤثرون بشكل فعاّل في "تسليع العلاقات" حيث يستخدمون العلاقة التي يطورونها مع جمهورهم للإعلان عن المنتجات والخدمات[4]. غيّر المؤثرون العديد من جوانب الأنظمة الإعلامية، بدءًا من كيفية تسويق السلع والخدمات، إلى كيفية جمع المعلومات والتحديثات حول الأحداث الجارية، وبذلك تدخل الأحداث السياسية ضمن نطاق تواجد المؤثرين/ات على مواقع التواصل الاجتماعي.

على الرغم من أن المؤثرين يُعتبرون أحيانًا ظاهرة جديدة، إلا أن نشاطهم يتبع تاريخًا طويلاً من اعتماد المشاهير في التسويق، حيث كانت تتم الاستفادة من جماهرية المشاهير لزيادة الثقة بالمنتجات. لقد ساعدت وسائل التواصل الاجتماعي على إيجاد طرق جديدة ومبتكرة للأفراد العاديين ليصبحوا مشاهير على الإنترنت، مما خلق نظامًا إعلاميًا يتيح نظريًا لأي شخص بناء جمهور وزيادة تأثيره. مع تزايد شعبية المؤثرين وبنائهم/ن لعلاقة ثقة مع قواعدهم الجماهيرية بات باستطاعتهم إضفاء الشرعية على المعلومات وتضخيم حجمها على وسائل التواصل الاجتماعي بما في ذلك المعتقدات الهامشية ونظريات المؤامرة والمعلومات غير الصحيحة. وقد أدّى غياب الأدوات التقليدية لضبط المحتوى والتحقق السابق على النشر من نقل عبْء تقييم المصداقية الى المستخدمين الذين يتلقون كمية هائلة من المعلومات بمفردهم. للتعامل مع هذا العبْء يلجأ هؤلاء الى الاعتماد على استراتيجيات مبسّطة لتقييم مصداقية المعلومات عبر الانترنت، بما في ذلك سمعة المرسلين وهم المؤثرين في هذه الحالة[5].

وفي ظلّ التزايد في انخراط المؤثرين في المجال السياسي واستخدام نشاطاتهم من قبل الحملات والمنظمين السياسيين بحد ذاته، وفي سياق الحرب الاسرائيلية على غزة ولبنان، يكون من المهم التمييز أيضاً بين هذا النمط من المؤثرين الذي بدأ يصبح مألوفاً ويتمتع بطابع تنظيمي سياسي الى حدّ ما بسبب انخراطه في السياسة من باب وظيفي ضمن آلة سياسية أوسع منه، وبين المؤثّرين الذين يتبنّون بصفة فردية وشخصية قضية معينة إمّا لأنها تمسّهم بصورة مباشرة بصفتهم متضررين، أو لأنّها تمسّهم بسبب بعدها القيَمي والإنساني، وفي الحالتين، يكون الدافع شخصيًّا وفرديًا لكنه لايزال قادراً على التأثير في السردية السياسية وتغيير موازينها في الحيّز العام.

عادةً ما تُدار القنوات التي يستخدمها المؤثرون السياسيون بشكل فردي، ويُنشَأ المحتوى عليها بشكل مستقل ودون ارتباط رسمي بمنظمات الإعلام الجماهيري أو الأحزاب السياسية، وهو الأمر الجوهري الذي يميّز المؤثر السياسي عن الناشط السياسي. ويُعتبر المؤثرون السياسيون حاليًا من وكلاء التنشئة السياسية الذين يقدمون المعلومات للجمهور بحيث يمكنهم إطلاعهم أو تكملة المعلومات السياسية المتداولة في المجتمع. إن دورهم في تبسيط المعلومات السياسية يسهّل على الجمهور، وخاصة الشباب، فهم القضايا السياسية. يُعتبر المؤثرون السياسيون مساهمين ليس فقط كمقدمي معلومات سياسية ولكن أيضًا في التعليم السياسي[6].

غالبًا ما يستخدم المؤثرون السياسيون القصص الشخصية وتجاربهم الخاصة كأداة لبناء روابط عاطفية قوية مع جمهورهم. من خلال مشاركة القصص الشخصية والتجارب العميقة،

[4] Goodwin, A., Joseff, K., Riedl, M. J., Lukito, J., & Woolley, S. (2023). Political relational influencers: The mobilization of social media influencers in the political arena International Journal of Communication, 17, 18987

[5] Goodwin, A., Joseff, K., Riedl, M. J., Lukito, J., & Woolley, S. (2023). Political relational influencers: The mobilization of social media influencers in the political arena International Journal of Communication, 17, 18987

[6] Prawira, Y., Sumartias, S., Suryana, A., & Damayani, N. A. (2024, August). Political influencers in online political participation: 5494-Strategies and challenges on social media platforms. International Journal of Religion, 5(10), 5485

فيخلقون اتصالًا أقرب مع متابعيهم. هذه السرديات الأصيلة تتيح للمؤثرين السياسيين إظهار جانبهم الإنساني، من خلال الكشف عن ضعفهم الشخصي ونجاحاتهم في مواجهة التحديات السياسية. بهذه الطريقة، يصبحون ليس فقط شخصيات عامة تبدو بعيدة، بل أفرادًا يمكن فهمهم والشعور بهم من قبل جمهورهم. علاوة على ذلك، يساعد استخدام القصص الشخصية في بناء الثقة بين المتابعين والمؤثرين السياسيين. عندما يرى الجمهور المؤثرين يشاركون تجارب حياتهم بصدق وانفتاح، يتم خلق إحساس بالأصالة والنزاهة ما يعزّز الثقة بالنفس. كما أن انفتاح المؤثرين في مشاركة قصصهم الشخصية يفتح الباب لحوار أكثر انفتاحًا ومعنًى بينهم وبين متابعيهم. من خلال الشعور بالاتّصال العاطفي مع المؤثّرين السياسيين، فيصبح المتابعون أكثر ميلًا لقبول الرسائل السياسية التي ينقلها هؤلاء المؤثرون واحتضانها. وبالتالي، فإن السرديات الشخصية الأصيلة لا تقوّي الرابط بين المؤثرين والجماهير فقط ، بل تعزّز أيضًا تأثيرهم في تشكيل الآراء والسلوكيات السياسية[7].

ويمكن تصنيف المؤثرين ضمن خمس فئات حسب عدد متابعيهم ودائرة تأثيرهم وهم: المؤثرون محدودو التأثير (micro-influencers)، لديهم جمهور صغير نسبيًا على مواقع التواصل الاجتماعي وخبرتهم في مجالات العلامات التجارية قليلة، ويتراوح عدد المتابعين الخاص بهم ما بين 1000 و10,000 متابع. المؤثرون ذوو التأثير المنخفض لديهم نسبة متابعة أكبر قليلًا مقارنة بالفئة الأولى على مواقع التواصل الاجتماعي ويتمتعون عادة ببعض الخبرة في التعاون مع العلامات التجارية، ويتراوح عدد متابعيهم ما بين 10,000 و100,000 متابع. المؤثرون متوسطو التأثير ويعدّ هذا النوع من المؤثرين من الشريحة الوسطى، وهم ماهرون في التعاون مع العلامات التجارية، ويبلغ عدد متابعيهم نحو 500 ألف وقد يصل إلى مليون متابع. وأخيراً المؤثرون المشاهير وتعَدّ هذه الفئة من ذوي التأثير العالي جدًا وهم المؤثرون الذين لديهم أكثر من مليون متابع[8]. على اختلاف فئات المؤثرين المذكورة، فإنهم جميعاً يستخدمون مقاييس التفاعل كمعايير لنجاح المحتوى المنشأ من قبلهم بين جماهيرهم، وكيفية خدمة هذا المحتوى لزياد عدد متابعيهم، لذا يعمل المؤثرون على وسائل التواصل الاجتماعي باستمرار على تطوير طرق مبتكرة لجذب جمهور أكبر وأكثر تفاعلًا الأمر الذي يعزّز من حجم الإشكاليّات المتّصلة بالاتجاه الذي يؤثّرون فيه على السّردية العامة ويعقّد فهم دوافعه.

4
تأطير مفهوم "المؤثر(ة)" و"المؤثر(ة) السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي" في سياق ممارسات النساء خلال الحرب

خلافاً لبقية الأدوار المطروحة، استوقف دور "المؤثرة" و"المؤثرة السياسية" انتباه العديد من المشاركات من باب التعبير عن رفضه، وبهذا يتم تأطير التعريف انطلاقاً من الطروحات التي قدّمتها المشاركات اللواتي تبنّين هذا الوصف للدور الذي قمن به خلال الحرب، إلى جانب الطروحات التي قدمتها المشاركات اللواتي حرصن على استبعاد هذا الدور بصورة خاصة.

وقد توقفت بعض المشاركات عند مفهوم التأثير وربطه بدورهن، واستبعدن أن يكن مؤثرات لأسباب تتعلق بغايتهن من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. فقد اعتبرت بعض المشاركات أن التأثير يقاس بعدد المتابعين أو نية إحداث تغيير، وهو ما لا يعبّر عنهن بشكل دقيق. كما رفضت أخريات تصنيفهن كمؤثرات لارتباط التأثير بالشهرة أو العمل الموجّه لتحقيق أهداف تجارية. وفي وصفهن لأدوارهن، تتّضح نظرة نقدية لتصنيف "مؤثرة"، وحرصٌ على إعادة تعريف المقصود من هذا المفهوم

[7] Prawira, Y., Sumartias, S., Suryana, A., & Damayani, N. A. (2024, August). Political influencers in online political participation: Strategies and challenges on social media platforms. International Journal of Religion, 5(10), 5485-5494

[8] Influencer Marketing Hub. (2025, February 5). What is influencer marketing? – The ultimate guide for 2025

بما يتماشى مع التجربة الميدانية، الرقمية، والسياسية التي خضْنها.

وقد عرّفت المشاركات "المؤثرة" أنه شخص يملك قدرة على نقل المعلومة والتأثير الفعلي على متابعيه من خلال آرائه ومواقفه التي تحدث تغييراً في آراء الناس وسلوكهم: "أنا مؤثرة لأنني أدير منصة وأستطيع أن أتكلم عبرها عن الأحداث والمجريات، والناس تتفاعل معي، والرسالة تصل اليهم/ن." وفي هذا السياق، تفصل المشاركات التأثير في سياق الحرب عن التحليل أو النشاط السياسي، حيث إن التأثير يتطلّب حصراً تواجدهن على قناتهن التي تسمح لهن بإيصال الرسائل والتجارب: "الناس تنتبه لكلامي وتطلب رأيي، هذا هو التأثير تحديداً". وبنفس المعنى تقول مشاركة أخرى: "من خلال التعبير عن رأي ما، تمكّنت من مساعدة كثر لكي يفهموا هذه المقاربة (بالإشارة إلى مقاربة متناقضة مع المقاربة السائدة في محيط اجتماعي لبناني معيّن). أيضاً ربطت بعض المشتركات دور المؤثرة بعنصري المصداقية المنشأة للثقة، من جهة، وأن تؤدي هذه الثقة إلى زيادة أعداد المتابعات من جهة ثانية : "إن متابعة المؤثر/ة تكون من أجل المضمون الذي تنشره، وتبعاً للثقة بهذا المضمون المتصلة بمصداقية المؤثر/ة".وربطت إحدى المشاركات التأثير في سياق الحرب مباشرة بالسرديات، بحيث اعتبرت إن القياس هو القدرة على إحداث تغيير في السردية المهيمنة عبر إبراز سرديات أخرى. وترى المشاركات ممارسات متفاوتة لهذه الجهة، بحيث تحافظ بعضهن على عنصر القدرة، وهو عنصر ذاتي موازي للمصداقية وبناء الثقة ويتصل بإنتاج المحتوى: "المؤثر هو الذي يستطيع أن يغير بالسردية من خلال إبراز سردية أخرى." وتفصل غيرهن التأثير عن فعل إنتاج المحتوى والمضمون المتصل بالحرب، وتجد أن إعادة النشر(تضخيم المحتوى) هي الممارسة التي توصل إلى إبراز سردية مختلفة حول الحرب: " أنا مؤثرة من خلال الأشياء التي كنت أعيد نشرها".

وكخلاصة لتعريف المؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي تبعاً للمقابلات:

المؤثر(ة) هي شخص يملك القدرة على نقل المعلومة والتأثير الفعلي على المتابعين من خلال آرائها ومواقفها التي تحدث تغييراً في آراء الناس وسلوكهم. ويتصل هذا الدور بامتلاك منصة على مواقع التواصل الاجتماعي تتيح للمؤثرة أن تتناول الأحداث والمجريات وتتفاعل مع شريحة واسعة من الناس بما يتعلق بالقضايا التي تطرحها. لا يتطلّب دور المؤثّرة بالضرورة تقديم تحليل لهذه المجريات أو أن يرتبط تناولها لهذه القضايا بنشاط سياسي متصل بها، إنما ينحصر دورها في إيصال الرسائل ومشاركة تجارب متصلة. من العناصر المهمة التي تصنع دور المؤثّرة هي المصداقية التي تولّد ثقة بالمضمون الذي تقدّمه المؤثرة. يمكن للمؤثّرة أن تنتج المضمون المتصل بالرسالة التي تريد إيصالها والتأثير الذي تسعى إليه بذاتها، ويمكن لها أن تكتفي بإعادة النشر بما يساهم في تعميمه على أوسع نطاق (exposure).

إن متابعة المؤثر/ة تكون من أجل المضمون الذي تنشره، وتبعاً للثقة بهذا المضمون المتصلة بمصداقية المؤثر/ة

أمّا المؤثّرة السياسية فتراها المشاركات الشخص الذي يستخدم منصات التواصل الاجتماعي بهدف نشر خطاب سياسي : "أنا أعتبر نفسي مؤثرة سياسية لأنني ألاحظ أن آرائي السياسية يتم تكرارها وتداولها" ومن العناصر التي تعرّف دور المؤثر السياسية، الاستمرارية، أي نشر الخطاب بشكل مستمر ومدروس، أيضاً نية تشكيل رأي عام مناصر لهذا الخطاب، من خلال جمع المعلومات: "المؤثرة السياسية توازن بين إعطاء معلومات بطريقة ليست بالضرورة موضوعية بالكامل لكنها بعيدة عن بيع خطاب خال من البحث". ولكي تعتبر مستخدمة منصات التواصل الاجتماعي مؤثّرة تبعاً لوصف

المشاركات، لا بد أن تعبر عن موقف سياسي واضح:"إعلان انحيازي التام لأهلي وأهل الأرض.." وأن تتمتّع بالمصداقية: "المؤثر السياسي يتم تبني رأيه في المواضيع السياسية...". المؤثرة السياسية تتبنى خطابًا سياسيًا واعيًا وتسهم في تشكيل الرأي العام حول القضايا السياسية ويُقاس تأثيرها بمقدار تبنّي جمهورها لخطابها وتحليلاتها، وليس بعدد المتابعين أو الشهرة: "التأثير السياسي هو عندما تلاحظين أن رأيك مسموع، وأن الناس تتبناه".

وكخلاصة لتعريف المؤثرة السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي تبعاً للمقابلات:

المؤثّرة السياسية هي الشخص الذي يستخدم منصات التواصل الاجتماعي بهدف نشر خطاب سياسي، وتكون ممارسة النشر مستمرة ومدروسة بهدف تشكيل رأي عام. وتبني المؤثرة السياسية عبر مواقع التواصل الاجتماعي هذا الخطاب بالاستناد إلى معلومات تدعم موقفاً سياسياً واضحاً. وتتمتع المؤثرة السياسية بالمصداقية. بالنسبة للمؤثرة السياسية، وإن كان تأثيرها يقاس بمقدار تبني الجمهور لرأيها وتحليلاتها، وازدياد او تراجع عدد متابعينها لا يؤثّر بالضرورة على وصفها مؤثّرة.

وكخلاصة، تتمايز المؤثّرة السياسية عن المؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي بمسألتين رئيسيتين:

الارتباط الوثيق بين قيمة البحث والتوثيق والمعلومات في بناء المصداقية وإحداث الأثر بالنسبة للمؤثرة السياسية، مقابل الاكتفاء بمقبولية الرأي وتبنيه من قبل شريحة من المتابعين وإعادة نشره والتفاعل معه بالنسبة للمؤثّرة. وبصورة متّصلة، تبدو علاقة الثقة وتحقق المصداقية بالنسبة للمؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي متصل بصفات شخصية تعبّر عنها، فيما تتطلب الثقة والمصداقية تجاه المؤثرة السياسية على مواقع التواصل الاجتماعي القدرة على تقديم تحليل يستند إلى معلومات. أي أن المصداقية في الحالة الأولى تبنى على عناصر ذات طابع شخصي تتصل بصفات المؤثرة، بينما تبنى في الحالة الثانية على عناصر موضوعية تتصل بمنهجيات التحليل والإقناع وبناء الحجة، أيضاً تتطلب تعبيراً مستمراً ومنحازاً لموقف سياسي بذاته بالنسبة للمؤثرة السياسية، فلا يكفي أن تروي قصة وتحدد موقفاً تجاهها بصورة منعزلة، بل تحتاج أن تحافظ على تعبير مستمر عن خطاب ثابت مع إمكانية استخدام سرد القصص كأداة من أدوات نشر هذا الخطاب وتأكيد بعده الإنساني.

5
تقاطع الأدوار وتعددها

وتقاطعت الأدوار الأربعة سابقة الذكر فيما بينها في تجارب المشاركات، لاسيما المؤثّرة على مواقع التواصل الاجتماعي مع الناشطة السياسية، والتغطية الصحافية. كما أبرزت المشاركات التفاوت المتعلّق بالمساحات المختلفة للتعبير والعمل مع التزام بأخلاقيات خاصة بكل مساحة على حدى. أيضاً تقاطعت هذه الأدوار الأربعة مع ممارسة تحليل ونشر آراء سياسية وتغطية صحافية. كما أضافت المشاركات أدوارًا أخرى هي: صناعة المحتوى، البحث والتوثيق.

التحليل السياسي هو تظهير للأفكار/ التحليل السياسي هو أداة نقد، وإشراك الناس بصنع القرار من خلال اطلاعهم على المعلومة

وعرّفت إحدى المشاركات – وهي تمثّل مؤسسة - عن الدّور الذي لعبته خلال الحرب في الفضاء الرقمي بثنائية: مؤثرة، ومؤثّرة سياسية على مواقع التواصل الاجتماعي. تبعاً للتصنيف المبني على عدد المتابعين، تعتبر المشاركة المذكورة من المؤثّرين ذات التأثير المنخفض تبعاً لمعايير التأثير في مجال "التسويق". وتتبنى مشاركة أخرى - وهي تعمل بصورة فردية تماماً- أدواراً تشمل

تغطية صحافية, ناشطة سياسية, ناشطة رقمية، مؤثرة على مواقع التواصل الاجتماعي, ومؤثرة سياسية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى تحليل ونشر آراء سياسية، وتتخطى متابعاتها النصف مليون ما يجعلها وفقاً لمعايير التأثير في مجال "التسويق" مؤثّرة متوسطة. أما المشاركة الثانية التي تتخطى متابعاتها النصف مليون – وهي تمثّل مؤسسة – حددت دورها بال نشاط السياسي والتغطية الصحافية والتوثيق واستبعدت التأثير بصورة كاملة.

ويتمحور التعريف الذي يستخلص للتغطية الصحافية واستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي في سياقها تبعاً للمشاركات حول نقل الأخبار والواقع من الميدان: "شخص موجود على الأرض(الميدان) ويقوم بنقل القصص من الأرض، وينقل حجم الإجرام الذي يرتكبه كيان الاحتلال"، ويتمايز هذا النقل عن السرد القصصي بعنصر التحقق من المعلومات، وتقديم مقاربة متعددة الأبعاد للحدث: "التغطية الصحافية هي كتابة خبر كامل وإضافة شهادات الناس بسياق الحرب...". وتستخدم في هذا السياق المنصات الرقمية بهدف إيصال الحقائق ومجريات الأحداث، لا كمجرد نقل معلومات، بل كفعل توثيقي يشمل الاعتداءات ومواجهة السرديات المهيمنة: "تركّز عملي على نقل قصص الناس المتأثرين بالحرب التي لا ينقلها الإعلام من خلال التواجد في الميدان". يشار إلى أن بعض المشاركات أشرن إلى الدور الإعلامي الذي قمن به بوصفه شكلًا من أشكال المقاومة.

أمّا عن تحليل ونشر آراء سياسية فقد ربطتها المشاركات بإنتاج محتوى يفسر الأحداث ويقدّم قراءات تحليلية لها بناءً على معطيات وسياقات سياسية من منظور نسوي أو مناهض للاستعمار: "التحليل السياسي يعني التعليق من زاوية اجتماعية على الأحداث من عدسة نسوية" ويختلف عن الرأي الشخصي بأنه مبني على تحليل منطقي: "التحليل يختلف عن الرأي الشخصي لانه يتضمن معلومات ".انه نشاط تحليلي يتمثل في تفسير الأحداث، لإنتاج المعرفة السياسية، وتقديم خطاب نقدي بديل:"التحليل السياسي هو الفعل المؤدي إلى خلق سردية جديدة" ويُستخدم للنقاش والتأثير:"التحليل السياسي هو تظهير للأفكار/ التحليل السياسي هو أداة نقد، وإشراك الناس بصنع القرار من خلال اطلاعهم على المعلومة".

وأضافت المشاركات دور صانعة محتوى، وعرّفته أنّه توثيق الأحداث من الميدان وإنتاج محتوى بصري أو كتابي يوصل الواقع إلى جمهور أوسع، مع تركيز على العدالة، والسردية وتمثيل الناس. "مثال المحتوى الذي أنتجته لـ (منصة محلّية) بهدف جمع التبرعات لتحضير الوجبات لثلاث مدارس تحوّلت الى مراكز إيواء. أما لجهة التوثيق والبحث، فتبعاً لتعريف المشاركات هو "القيام بجمع المعلومات والشهادات والبيانات بهدف التوثيق والنشر، أو إنتاج معرفة نقدية تُسهم في التأثير والفهم الأعمق للسياقات: "أقوم بالبحث بهدف التوثيق ونشر المعرفة والتأثير."

إلى ذلك، تنوّعت الأدوات الاستراتيجية التي تم استخدامها في سياق القيام بهذه الأدوار. وأظهرت إجابات المشاركات تنوعًا كبيرًا في الأدوات المستخدمة لإنتاج المضمون، مع تركيز السرديات الشخصية والجماعية التي تعكس الوضع السياسي والاجتماعي، فكانت حملات التوعية هي الأداة الأكثر استخدامًا بين المشاركات، حيث تستخدمها 20 مشاركة، مما يشير إلى اعتماد واسع على نشر المعرفة وتحفيز النقاش العام. تلتها حملات الضغط والسرد القصصي، اللتان وردتا في 17 إجابة، ما يعكس تزايد استخدام استراتيجيات التأثير المجتمعي وبناء السرديات كأدوات للتعبير والتأطير السياسي خلال الحرب. ثم وردت ممارسة نقل الأحداث التي وردت في 16إجابة، تليها التغطية الصحفية التي كانت تقوم بها 14 مشاركة بينهن صحافيات متفرغات، ثم يأتي البحث وهو أداة استخدمتها 13 مشاركة، ما يدلّ على حضور متوازن ما بين التوثيق، التحليل، والنقل الميداني للمعلومة. أما البودكاست فقد ورد في 10 إجابات، مما يشير إلى الإنخراط والاستفادة من توسّع استخدام المحتوى الصوتي كمساحة للسرد والتأمل والتحليل. في حين حضرت السخرية اللاذعة

في 11 إجابة، إلا أن استخدامها بدا مشروطًا بالسياق الأخلاقي والسياسي، خصوصًا خلال فترات الحرب. وفي مستويات أقل، ورد كلّ من البيان الصحفي والإنتاج الفني في 6 إجابات وهي نتيجة منطقية في ظل انحسار العمل السياسي المنظم وتزايد النشاط الفردي، تليهما ممارسة التوثيق (مرتين) والتعقيب على محتوى ونشر موقف (مرة واحدة). يعكس هذا التوزيع الابتعاد عن الأدوات التقليدية للتعبير السياسي، وتفضيل استراتيجيات تعبيرية تعطي أولوية للتوعية وبناء السردية كأدوات محورية في إنتاج المضمون السياسي والاجتماعي.

ثانيـاً – مـواقـع التواصل الاجتماعي

فرصة لتحدي الصورة النمطية حول النساء خلال الحروب

وتتعامل الدراسات الجندرية مع العالم الرقمي باعتباره فرصة للنساء للمشاركة السياسية من جهة، ومن جهة ثانية بصفته عالم غير آمن ويكرّس العنف ضدّهن. ويمكن للنشاط على مواقع التواصل الاجتماعي أن يحدث تغييرًا في المعايير الجندرية من خلال إطلاق الحملات؛ تضخيم الرسائل؛ مشاركة المعرفة وإعادة صياغة السرديات؛ وبناء مجتمع رقمي متناغم فكرياً. وتُعد الوسوم (الهاشتاغات)، والميمات، والمحتوى التوعوي عناصرًا أساسية في نجاح نشاط النساء على الإنترنت. كما تُساعد وسائل التواصل الاجتماعي في تحويل القضايا الشخصية إلى قضايا سياسية، وبناء زخم يتجاوز الحدود الجغرافية، وتسهيل تكوين شبكات تصل إلى الأشخاص وتعبّئهم خارج نطاق الساحات التقليدية للنشاط الميداني. أيضاً يمكن استخدام ميزات مختلفة لوسائل التواصل الاجتماعي لا سيما الفيديوهات المباشرة لتحدّي الصور النمطية الجندرية أو كسر المحرّمات. الأمر الذي يُسهم في كسر حاجز الصمت حول مظاهر عدم المساواة الجندرية المستمرة ويفتح النقاش حول قضايا كانت تُعتبر سابقًا محظورة. ومع ذلك، ينتج العنف الرقمي ضد النساء تأثيرًا "صامتًا" على حق النساء في المشاركة في الساحات العامة. غالبًا ما يجذب المحتوى الذي يتحدى المعايير الجندرية الإساءات وردود الفعل العنيفة، حيث تمثل الحركات المنظمة المناهضة للنسوية و"المناهضة للجندر" تهديدًا حقيقيًا لحقوق النساء وسلامتهن على الإنترنت.

يُعزز العنف عبر الإنترنت الهياكل التمييزية التقليدية ضد النساء، حيث يؤدي إلى فرض رقابة ذاتية عليهن في الفضاء الرقمي، ويستخدم أحيانًا لإسكات الناشطات السياسيات. ونظرية التبادل الاجتماعي تفسّر انتشار العنف السيبراني كونه غير مكلف للجناة ولا يترتب عليه عواقب قانونية. وبالتالي، لا تكمن الحلول فقط في تجريم العنف الإلكتروني، بل في إلغاء القوانين التي تستهدف النساء بمبررات فضفاضة.

في لبنان، كشفت إحصاءات قوى الأمن الداخلي أن 80 بالمئة من المبلّغين عن الجرائم الإلكترونية بين 2020 و2023 كنّ نساء. كما تعرّضت 35.2 بالمئة من النساء لشكل من أشكال العنف الإلكتروني مرة واحدة على الأقل عام 2022. ومع تقلّص عدد مستخدمي الإنترنت إلى 4.76 مليون مستخدم بداية 2024، أظهرت الإحصاءات أن نسبة النساء على منصّات التواصل الاجتماعي تتجاوز 40 بالمئة، وتصل إلى 52.2 بالمئة على إنستغرام[9].

كما أفادت دراسة لمنظّمتَي "مهارات" و"مدنيات" بأن 58.1 بالمئة من النساء السياسيات تعرّضن للعنف على وسائل التواصل الاجتماعي، مما دفع 17 بالمئة منهن إلى إغلاق حساباتهن. وتعكس هذه الأرقام الحاجة إلى سياسات أكثر فاعلية لحماية النساء من العنف الرقمي في لبنان والمنطقة[10].

1

خلفية حول تشكيل نظرة نمطية لأدوار النساء خلال الحروب

في كتابه "الحرب والنوع الاجتماعي(جندر)" يجادل جوشوا إس غولدستاين بأن الذكورة البنيوية (constructed Masculanity) تعمل كحافز للجنود عبر الثقافات المختلفة، متطرقاً الى أنماط مثل اعتبار الحرب اختباراً للذكورة/الرجولة، والذي يأتي ضمن موازنة بين أدوار الحرب الذكورية وأدوار الحرب الأنثوية كدور الأمهات والزوجات والحبيبات. أيضاً يلحظ نمط أدوار النساء في معارضة الحرب بنشاط، مما يعزز فكرة الحرب كفعل ذكوري والسلام كفعل أنثوي. أيضاً يلاحظ غولدستاين أن المناطق التي تنقسم فيها الأدوار الجندرية بوضوح بين الذكورة والأنوثة، بدلاً من أن تكون أكثر تفصيلًا ودقة، ترتبط جميعها بالنظام الحربي. على وجه التحديد، ومنها مثلاً أن تسيطر مقاربة القيادة السياسية بدلاً من المشاركة السياسية. بالتالي فان العلاقة بين الحرب والجندر هي أكثر القضايا الجندرية اتساقًا عبر الثقافات، وذلك نتيجة لارتباط الصفات المعبّرة عن الذكورة بالسلوك العدواني، مما يجعل هذه السمات أكثر جاذبية في النظام الحربي، حيث تؤدي هيمنة الذكورة مرة أخرى إلى تعزيز فكرة الأنوثة كحالة غير فاعلة[11](passive).

وكّلما كبرت الفجوة بين الجنسين في المجتمع، كلّما عانت النساء خلال الحروب أضعافاً مضاعفة، وتراجعت قدراتهن على الانخراط في المسارات المتصلة بالحرب من خارج الزوايا الفئوية المتصلة بالنساء بوصفهن ضحايا وتناولهن بوصفهن هشّات، بالمقابل تزداد قدرة النساء على التأثير في القرارات، والمسارات والسرديات.

في دراسة نشرتها مُدرّسَة مقرّرات النوع الاجتماعي في الجامعة الأمريكية في بيروت لينا أبو حبيب، تلقي الضوء على الأبواب التي رسمت دور النساء خلال الحرب الأهلية اللبنانية. وهذه الدراسة هي واحدة من نوعها في الأدبيات الجندرية اللبنانية. ويبرز في الدراسة دوراً محورياً للأعمال الأدبية كمساحة يمكن من خلالها فهم موقع النساء من هذه الحرب ومقاربتهن في سردها. أيضاً تشير الى ان الصحف كيف تطرقت الى النساء المنضويات إلى الميليشيات المسلحة. وفي كلتا الحالتين، تنطبق المقاربات التي تفاعلت من خلالها النساء مع السرديات المتصلة بالحرب الأهلية على ما طرحه غولدستاين، لجهة

[9] برجس، إ. (12 تموز 2024). قوانين العنف الإلكتروني في الدول العربية: كيف تكون النساء ضحايا ومُتهمات. نقطه.

[10] كسر الصّمت عن العنف ضد النّساء في السّياسة. (28 تموز 2022). مهارات، Me Too Politics، ومدنيات.

[11] Goldstein, J. S. (2001). War and gender: How gender shapes the war system and vice versa. Cambridge University Press, p.7

قطبية الذكورة والأنوثة في مقاربة الحرب. لا بد من الاشارة الى أن هذه الدراسة لم تتطرق الى النساء والسردية السياسية للحرب الإسرائيلية على لبنان بعد نهاية الحرب الأهلية، وبالتالي لا يكون مجال مقارنة الدور السياسي للنساء بالنسبة للحروب غير الدائرة حالياً صعبًا في ظل الأدبيات المتوفرة والتي اطلعت عليها الباحثة[12].

2

تطابق الأدوار التي تبنّتها المشاركات مع النظرة النمطية لدور النساء خلال الحروب

تجمع المشاركات على نفي أن يكون الدور الذي لعبْنه خلال الحرب على لبنان ذا طابع نمطي، حتى لجهة العمل الإغاثي، ذلك أن النساء تولّين القيادة والتنظيم في هذا المجال. فقد تولّت النساء تبعاً لوصفهن للدور الذي قمن به أدوارًا قيادية واستراتيجية، مثل التنسيق والقيادة في العمل الإغاثي، والمشاركة في بناء السرديات الإعلامية والسياسية، والتعبير عن مواقف سياسية واضحة، والتصدي لمواضيع حساسة مثل العنف الجنسي والتحرش، بالإضافة إلى تغطية الأحداث الميدانية. هذه الأدوار تعكس تحولًا في تصور دور النساء خلال الحروب، حيث لم تعد مقتصرة على المهام الرعائية، بل أصبحت فاعلة في مجالات كانت تقليديًا حكرًا على الرجال. هذا التغيير يبرز أهمية الاعتراف بمساهمات النساء المتنوعة خلال النزاعات، وضرورة توثيقها كجزء لا يتجزأ من السردية العامة للحرب. ولتوضيح مقاربتهن حول التمايز بين الدور الذي لعبْنه والدور النمطي المتوقّع من النساء خلال النزاعات المسلحة، طُلب منهن تعريف الدور الأخير حسب نظرتهن.

وعبّرت المشاركات أن النظرة النمطية لدور النساء خلال الحروب غالبًا ما يشمل، الأعمال الرعائية والاجتماعية حيث يتوقع المجتمع من النساء التركيز على تقديم المساعدات الإنسانية، مثل الطبخ، وتوزيع الإعانات، ورعاية الأطفال وكبار السن. أيضاً الابتعاد عن المشاركة السياسية والإعلامية. وتُعتبر المشاركة في المجالات السياسية أو الإعلامية أثناء النزاعات خروجًا عن الدور التقليدي للنساء، حيث يُتوقع منهن البقاء بعيدًا عن هذه المجالات. بالإضافة إلى التركيز على الأسرة والعائلة فيُتوقع من النساء أن يركزن على حماية ورعاية أسرهن خلال النزاعات، مع الابتعاد عن الأدوار القتالية أو القيادية.أيضاً تعبّر إحدى المشاركات عن أهمية الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي لتعديل الذاكرة الصورية الراسخة عن النساء خلال الحروب، التي تختزلهن بدور الضحية "الأم الهاربة مع أطفالها، أو امرأة بجانب جريح أو مصابة، وتقديمهن أيضاً في الأدوار القيادية التي لطالما كنّ يلعبْنها من دون أن نتمكن من رؤية ذلك".

لطالما اختُزلت النساء خلال الحروب في الذاكرة الصورية كضحايا؛ في هذه الحرب ابرزنا صورة النساء كقياديات أيضاً

وبهدف تأطير هذه الإجابات ضمن سياق أدوارهن على مواقع التواصل الاجتماعي، سُئلت المشاركات ما إذا كنّ يلاحظن اتصالاً بين جندر الأشخاص واختيارهنّ للمضمون الذي ينشرنه على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد تساوت الإجابات بين المشاركات اللّواتي اعتبرن أن النوع الاجتماعي للشخص يؤثر على خياراته بالنسبة للمحتوى الذي ينشره، وبين اللّواتي نفَين وجود صلة بين الموضوعين.

وأشارت المشاركات اللّواتي أجبْن بالإيجاب أنّ إجاباتهنّ كانت إثر تعرضهنّ لتجارب سابقة جعلتهنّ أكثر حذرًا في ما ينشرنه. وأشارت أخريات إلى أن الرجال يشعرون براحة أكبر في نشر محتوى جريء أو تحريضي، بينما تواجه النساء ضغوطًا

[12] أبو حبيب، ل.، عقيل، ك.، وعيسى، م. (2024، 14 نيسان/أبريل). استعادة تاريخ حقوق النساء والحركات النسوية في لبنان وتحريره من الاستعمار: المخطوطة الكاملة

يجعلهن أكثر تحفّظًا. أما اللواتي كنّ غير متأكدات من وجود صلّة بين الأمرين فتضمنت إجاباتهنّ تأكيدًا على أن التأثير قد يعتمد على السياق أو الفرد. مثلاً، أشارت بعض المشاركات إلى أن النساء قد يكنّ أكثر حرصًا عند التعبير عن مواقفهن السياسية بسبب الخوف من التشهير أو العنف. كما لُوحظ أن النساء يركّزن في المحتوى المنشور على الجوانب الإنسانية، خاصة خلال الأزمات. فيما عبّرت أقلية عن انعدام الأثر برأيهن حيث أن كل فرد يختار ما يعبّر عنه بناءً على اهتماماته الشخصية، بغض النظر عن الجندر.

كما أشارت بعض المشاركات إلى أن النساء قد يتجنّبن نشر محتوى معين بسبب الخوف من ردود الفعل السلبية أو التعرض للعنف الإلكتروني. فيما ذَكرت بعض المشاركات أن النساء قد يركزن على مواضيع مثل الأطفال والنساء خلال الأزمات، بينما قد يركز الرجال على جوانب أخرى.

3
الحساسية الجندرية في مقاربة المشاركات للنزاعات المسلّحة

تعترف المشاركات أنه خلال النزاعات المسلحة، تتعرض النساء لأشكالٍ مزدوجة من العنف، داخل المنزل وخارجه، حيث تتفاقم الانتهاكات في ظل انهيار الأمن والقوانين. فبينما يُقتل الرجال أو يُعتقلون، تتحول النساء إلى المعيلات الوحيدات، حيث يحملن أعباء الأسرة كاملةً في مجتمعاتٍ قد لا تعترف بأدوارهن الجديدة:"أمي ترمّلت وربّت طفلين في مجتمع محافظ... حملت عبء الأم والأب، وخسارتها كانت كل عمرها". وفي مراكز النزوح، تُحرم النساء من أبسط حقوقهن، مثل الخصوصية والنظافة الشخصية، حيث يصبح الحصول على غرفة مغلقة حلمًا بعيد المنال. وتلمس المشاركات أن العنف ضد النساء يتصاعد بشكلٍ خاص أثناء النزوح، حيث تُحرم حتى من أبسط حقوقها. تروي مشاركة عن حالة إحدى الصحفيات "التي حصلت أخيرًا على غرفة في فندق بعد النزوح، عندما وصلت لتستلم غرفتها، كانت تضحك وتبكي تأثراً لأنها حصلت أخيراً على غرفة مغلقة، الأمر الذي أصبح منذ النزوح أكبر أحلامها"، بينما اضطرت زميلة أخرى إلى "العيش مع أهل زوجها وهما يخوضان مرحلة الطلاق، وكانت تعمل من سيارتها يومياً لعدم توفّر مساحة في المنزل المشترك". تقول إحدى المشاركات أن التفاصيل الصغيرة – مثل عدم القدرة على تغيير الملابس بخصوصية، أو المعاناة من آلام الدورة الشهرية في مكان مكتظ – نادرًا ما تُذكر، رغم أنها تمثل جوهر العنف اليومي غير المرئي.

ولا يقتصر العنف على الجانب الجسدي، بل يتعدّاه إلى الاقتصادي والجنسي، خاصةً في غياب آليات التبليغ. لكن الإعلام غالبًا ما يتجاهل هذه المعاناة، أو يختزلها في إطار "الضحايا" دون إبراز صمودهن. هنا تبرز أهمية الروايات النسائية: "النساء رَاويات أفضل من الرجال... يروين التفاصيل التي تربط القصة بحقيقة تجربتها".

كما إنّ غياب آلية موحدة للتبليغ عن العنف الأسري يترك النساء بلا حماية خلال التهجير وبسبب الانتقال إلى مناطق جديدة غير معروفة بالنسبة إلى ضحية العنف الأسري :"لا تعرف المهجَّرات كيف يبلغن عن العنف". في هذا السياق تجد مشاركات أنه لا بد من مقاربةٍ شاملة تدمج الحماية القانونية مع الدعم النفسي، وتعطي مساحةً أكبر لقصص النساء، ليس كضحايا فحسب، بل كفاعلاتٍ في زمن الحرب وما بعده: "هذه الحرب محطةٌ لنتوقف عن الأجوبة الجاهزة، لنرى كيف تغيّرت أدوار النساء اقتصاديًّا واجتماعيًّا. الحرب تنتهي، لكن آثارها تستمر لعقود".

في هذا السياق ترى إحدى المشاركات انه لا يمكن اختزال معاناة النساء في الحروب لكونهن "الضحية الوحيدة التي تدفع ثمن النزاعات"، فالأمر أكثر تعقيدًا من هذه الصورة النمطية. الواقع يُظهر أن المعاناة تختلف باختلاف السياقات، فـ"نساء حزب الله أزواجهن ليسوا في البيت العائلي، ونساء حماس أزواجهن منخرطون في القتال وتيتّم أولادهن"، وفي كلا الحالتين تتحول المرأة إلى معيلة فجأة، تحمل أعباء لم تُهيّأ لها.

ترى المشاركات إنّه رغم هذه الانتهاكات، تظل الاستجابات غير كافية. ففي خضم القصف على لبنان والنزوح، يُدفع العنف ضد النساء إلى الخلفية حتى في المؤسسات الإعلامية البديلة التي تتناول قضايا العدالة الجندرية بكثافة: "لم نناقش مقاربة محدّدة للعنف ضد النساء... الأولوية كانت للأحداث الأكبر مثل القصف". حتى المؤسسات التي تديرها نساء تعترف بالتقصير: "أنا على المستوى الشخصي والمؤسّساتي لم أقم باللازم... أؤجّل هذا الموضوع باستمرار وهذا خطأ".

هذا وتعبّر بعض المشاركات عن الحاجة لإعادة التفكير بموضوع العنف ضد النساء في سياق حرب كالّتي يتعرّض لها لبنان والإبادة في غزّة. فالحرب تكشف عن فجواتٍ عميقة: "مراكز الإيواء تفتقر لآليات التبليغ عن العنف، والأمهات العازبات أو المطلقات يُتركن بلا مأوى آمن". أيضاً "بعض الجهود تُبذل لضمان حضور النساء في التغطيات الإعلامية بطريقة نسوية"، لكنها تبقى غير كافية أمام حجم الانتهاكات.

4
مساحات التمييز ضد النساء في زمن السلم ربطاً مع أثر الحرب على النساء

في سياق سؤال المشاركات عن أبرز - مجال إلى ثلاثة مجالات - تتضمن تمييزاً ضد النساء في لبنان في زمن السلم، تركّزت الإجابات حول القوانين، لا سيما قانون الجنسية، قانون العمل لجهة إجازة الأمومة وإجازة الأبوة، وقوانين الأحوال الشخصية. وذكرت المشاركات العنف الاجتماعي والاقتصادي، الفجوة في الرواتب والأجور، وكافة أشكال التمييز ذات البعد الثقافي الاجتماعي. وقد حاز التمييز السياسي لجهة الوصول إلى مراكز القرار في كافة المجالات العامة على تركيز المشاركات، كما أشرن إلى موضوع العمالة المنزلية والعنف الرقمي، والعنف الجنسي، والحريات العامة وسيطرة الرجال على كافة المجالات التي تحتاج إلى ظهور عام مثل الإعلام، والتحليل السياسي، والمراكز العليا في القضاء، والمؤسسات الدينية والستاند آب كوميدي.

وبرز في إجابات المشاركات لهذه الجهة، مجالا الحرب والعمل الصحفي كمجالات فيها تمييز شديد. وقالت إحدى المشاركات أن: "الصحافة من أكثر المجالات التي تتعرض فيها النساء لاحتمال التحرش، وبشكل خاص لجهة التحقيقات الاستقصائية، حيث تتلقى الصحافيات من نوع تعالي إلى المكتب (في سياق غير مرغوب وغير مهنية)، وهذه ليست ظواهر مرتبطة فقط بفترة الحرب". كما تلفت مشتركة أن "الصحفيات في الحرب انقطعن عن أولادهن طوال الوقت، بينما كان الصحافي يترك أولاده مع زوجته". وتشير إحدى المشاركات أنها "كصحفية، هناك دائماً من يتدخّل ويتعامل معي وكأنّني بحاجة إلى مساعدة خاصة فقط لكوني امرأة".

وأجمعت معظم المشاركات على أن للحرب آثارًا نوعية ومضاعفة على النساء مقارنة بالرجال، تنبع من الأدوار الاجتماعية الملقاة عليهن، والغياب البنيوي لأنظمة الحماية في فترات الأزمات. وقد عبّرت بعضهن عن هذا الاختلاف بوضوح، معتبرات أن النساء "يتحمّلن كل شيء: الحداد، الخسارة، والبيت"، في حين أضافت أخرى أن النساء يُلقَيْن في موقع "للمة تبعات الحرب" بسبب النظام الاجتماعي الذي يفترض منهن القيام بالدور الرعائي والاحتواء في ظل انهيار الدولة.

وسلّطت المشاركات الضوء على أوجه متعددة لهذا الأثر، من بينها الضغوط النفسية على الأمهات، خصوصًا في ظروف النزوح أو المعيشة الجماعية القسرية، إذ قالت إحداهن: "هناك صحافيات كنّ يعملْن من مكان النزوح الذي تتشاركْنه مع 12 شخصًا، هذه الصحافية هي أمّ أيضاً، وهذا الضغط كبير جداً". كما أشارت أخريات إلى غياب الخصوصية في أماكن اللّجوء، وصعوبة الوصول إلى المستلزمات الصحية والدورة الشهرية، الأمر الذي يُهمل غالبًا في خطط الطوارئ والمساعدات الإنسانية.

لقد تكرّرت الإشارة إلى أن النساء يُجبرن أحيانًا على الإقامة مع معنّفين سابقين خلال الأزمات، ما يُفاقم الخطر عليهن في غياب آليات حماية وتبليغ فعّالة. وفي هذا الإطار،

قالت مشاركة :"بعض الأشخاص اضطروا أن يعيشوا مع معنّفيهم، مع علمهنّ أن نسب التحرش من الأقارب وداخل العائلة أعلى، وعند التعرض للعنف خلال الحرب ليس لديك مساحة للتعبير".

بعض المشاركات نوّهت إلى أن الرجال أيضًا يتعرضون للخسارة، وأن الموت لا يفرّق بين جندر وآخر، إلا أن النساء "يعشن الأوضاع السياسية والاجتماعية بشكل مضاعف"، بحسب تعبير إحدى المشاركات. وأكّدت أخرى أن "النساء حساسيتهن أعلى، لكونهن غير معتادات على أجواء الحروب، بينما الرجال يُطلب منهم أن يتمالكوا أنفسهم، بالمقابل يسمح للنّساء أن يعبّرن عن الخوف"

بالإضافة إلى المشاركات اللاتي أكّدْن بشكل قاطع أن آثار الحرب على النساء أشد قسوة، ذهبت بعض المشاركات إلى التعبير عن كون مسألة تفاقم التمييز ضد النساء خلال الحروب هي مسألة نسبية وقد عبّرن عن شكوكهن أو رأيْن أن تأثير الحرب على النساء ليس دائمًا مباشرًا أو فريدًا، بل قد يتأثر بتعدّد الأبعاد الاجتماعية والسياسية في كل حالة على حدة. قالت إحدى المشاركات: "النساء بالطبع تعاني وتمرّ بظروف أصعب، لكن أعتقد ان الخسارة في هذه الحرب طالت الرجال والنساء" في حين عبّرت أخرى عن رؤيتها أن "الضغط الإضافي على النساء في الحرب ليس تلقائياً، لكن يختلف تبعًا لمسؤولياتهن الاجتماعية أو الرعائية التي تضاعفت." وأوضحت إحدى المشاركات "أن الموت والدمار يطال الجميع على حدّ سواء". وذهبت مشاركة أخرى إلى التمييز بين النساء أنفسهن تبعاً لواقعهن الاقتصادي والاجتماعي خلال الحرب: "النساء عندما يكنّ في مخيمات نزوح ومراكز ايواء يكنَّ مضطرات لتحمل مسؤوليات أكبر خلال الحرب، لكن في نفس الوقت هذه الأوضاع قد تنطبق على الرجال أيضًا في بعض الحالات، ولا تنطبق على نساء مهجرات في شقة بديلة من دون تعديلات عميقة تتصل بنمط الحياة ومشاركة السكن".

في جميع الأحوال، بالنسبة للنساء اللواتي جزَمْن بتمايز أثر الحرب تبعاً للنوع الاجتماعي للأشخاص، وبين المشاركات اللواتي عبّرن عن إجابة مترددة تجاه هذا القول، فإن الأخيرات لم تُقلل من معاناة النساء، بل تطرّقن إلى تعقيدات الوضع وآثاره المتنوعة التي لا تقتصر فقط على العوامل الجندرية، بل تتداخل مع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بكل حالة. كما أن بعضهن أكّدن على فكرة التضامن والتعاون بين الناس في بعض الحالات، وهو ما قد يكون مصدرًا للقوة في تلك الظروف الصعبة.

5

التعرّض للعنف على أساس النوع الاجتماعي

أظهرت إجابات المشاركات تباينًا في الشعور بالتعرّض لأشكال من العنف المبني على النوع الاجتماعي عبر منصات التواصل الاجتماعي، إذ صرّحت 7 مشاركات بتعرّضهن الواضح للعنف، سواء عبر هجمات جماعية منظّمة، أو تعليقات مسيئة استهدفتهن بصفتهن نساء، خصوصًا حين ترافقت منشوراتهن مع مواقف نسوية أو سياسية حساسة. من بين أبرز أشكال هذا العنف: التحقير، التسييس الجندري، تقليص مساحة التعبير، واستهداف الهوية النسوية. عبّرت إحدى المشاركات أن "كل الاستهداف بيجو لأن اعتبر إمرأة مستضعفة".

هذه الحرب محطةٌ لنتوقف عن الأجوبة الجاهزة، لنرى كيف تغيّرت أدوار النساء اقتصاديًّا واجتماعيًّا. الحرب تنتهي، لكن آثارها تستمر لعقود

في المقابل، لم تشعر 14 مشاركة بتعرّضهن لهذا النوع من العنف، وغالبًا ما ربطن ذلك باتخاذهن إجراءات احترازية مثل الامتناع عن الظهور العلني، أو اعتماد الرقابة الذاتية، أو تقديم

خطاب غير صدامي حيث قالت: "أستطيع أن أقول ما أريد من دون صدام مع المجتمع"، فيما رأت أخرى أن "الهجوم كان يوجّه ضد الأشخاص الذين يظهرون في الفيديوهات على صفحتي وليس ضدي، ربما لأني لم أظهر شخصياً".

ثلاث مشاركات عبّرن عن تردّد بين النفي والتأكيد، معتبرات أن الهجمات التي تعرّضن لها يصعب تصنيفها بوضوح كعنف جندري، نظرًا لتداخلها مع اعتبارات سياسية أو طائفية أو شخصية، ما يعكس تعقيد التجربة الرقمية للنساء في زمن النزاع.

وقد كشفت عدد من المشاركات اللواتي أفدن بتعرّضهن لهجمات جماعية على منصات التواصل الاجتماعي، عن أنماط مركّبة متعددة من العنف الرقمي، تدمج بين الاستهداف السياسي، الجندري، والشخصي إذ تجاوزت هذه الهجمات مجرد النقد أو الاختلاف بالرأي، لتصل إلى مستويات قاسية من التنمّر، والتحقير، والتهديد.

مشاركة أخرى تحدّثت عن العنف اللفظي المتكرّر، خاصة عند نشرها لمواقف ساخرة من الخطاب الإعلامي الإسرائيلي، ما أدّى إلى حملة تنمّر ومسخرة" على خلفية لغوية و جندرية، حيث قالت: "تعاملوا معي على أنني رجعية... متى أصبح التقدّم هو أن نتكلم لغات أجنبية؟"

وأشارت إحدى المشاركات إلى أن مجرّد التعبير عن تجربة النساء في الحرب جعلها أكثر عرضة للهجوم، قائلة: "عملياً أبقى امرأة ويستسهل مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي إهانة النساء والتنمر والنبش بالحياة الشخصية واستخدام صور شخصية على مواقع أخرى، والأسوأ هو مشاركة نساء في هذه الحملات.

ومن جهتها، وصفت إحدى المشاركات حملات الكراهية بأنها ترتكز على عناصر متعددة: الموقف السياسي، الشكل، العمر، والجندر، مضيفة: "دائما ما يتم استخدام مسألة العمر، يصفونني بالعجوز البشعة، ويقولون أنني رجل".

وفي مثال آخر، تطرّقت إحدى المشاركات إلى هجمة ضدّها بسبب موقفها من اغتيال إسرائيل للناطق الإعلامي في حزب الله، من باب كونه صحافي، وقالت أن "الهجوم كان من الطرفين، وكان مكثفاً من جهة الذين اعتبروا أن محمد عفيف يعبر عن بروباغندا حزب الله ويجب أن يموت. أنا بالنسبة لي هو صحافي". تكشف هذه الإفادات عن مدى العنف الرمزي والفعلي الذي تتعرّض له النساء في الفضاء الرقمي، لا سيما عندما يتقاطع خطابهن مع قضايا سياسية حساسة أو يخرجن عن الأدوار النمطية المتوقعة منهن. وتدل أيضًا على الدور الذي تلعبه الرقابة المجتمعية والجماعية في إنتاج القمع وتبريره، حتى من داخل الصفوف النسوية. أيضاً تعرّضت إحدى المشاركات لهجمة اسرائيلية من قبل أكثر من 1000 متابع اسرائيلي. كما لاحظت تبدّل في تفاعل الخصوم السياسيين: "التابعين من حزب القوات وحزب الكتائب كانوا قبل الحرب يعبّرون عن الاختلاف بكل ترتيب، فبعد 8 أوكتوبر إمّا ألغوا التابعة وهذا الأمر يمكن تفهّمه،إمّا استمروا بالمتابعة ولكن صاروا يكيلون الإهانات والتشهير".

تجدر الإشارة أن معظم حالات الهجمات الالكترونية المبنية على النوع الاجتماعي، التي تعرّضت لها المشاركات كانف ضمن سياقات غير متصلة بالحرب، حيث استشعرت المشاركات أن مستخدمي مواقع التواصل ترفّعوا عن استخدام هذا الأسلوب خلال مرحلة الحرب، الأمر الذي حفظ التفاعل معهن ضمن حدود العنف السياسي العام في حال حصوله، ما أدّى إلى ظهور تعليقات محدودة جداً تكتسب بعداً جندريّا. وفي الاتجاه عينه، برزت الهجمات الإلكترونية المتصلة بالحرب مركّزة على مضمون الموقف السياسي أكثر مما هي متعلّقة بالحياة الشخصية والجندر.

6

الرقابة الذاتية: تعريفها وممارستها من قبل النساء الفاعلات خلال الحرب

بالاجابة على السؤال المتعلق بممارسة أي شكل من الرقابة الذاتية على المحتوى الذي كانت

تنتجه المشاركات خلال الحرب، مع ترك مفهوم الرقابة عاماً ومفتوحاً لتأويلات المشاركات، ثم التدقيق في تعريفهن للرقابة على نوع نشاطهن خلال فترة النزاعات، تبيّن أن 10 من المشاركات مارسن رقابة على المضمون الذي تقمن بنشره، و9 نفين قيامهن بأي رقابة و6 أشرن إلى قيامهن بالرقابة الذاتية أحياناً، وتبعاً للتعقيبات، يفهم بالرقابة مقاربات تتصل بتقييد التعبير العاطفي أو الشخصي: "قمت بفصل مشاعري الشخصية عن الفكرة التي أتناولها"، بالمقابل عبرت إحدى المشاركات عن مقاربتها:"كانت مقاربتي عاطفية أكثر من الانغماس في تحليل كل التفاصيل"، واعتبرت أن هذه العاطفية تشير إلى عدم قيامها برقابة ذاتية.

أيضاً برزت المعرفة بمعايير المنصات التي تنشط عليها المشاركات والإجراءات التي تتخذ بحق المحتوى الذي يتنافى معها كدافع للقيام بالرقابة الذاتية من قبل بعض المشاركات. وفي هذا السياق أشارت بعض المشاركات إلى "التحايل على الخوارزميات لتجنب حظر الظل shadowban"، وأشارت أخرى إلى "الرقابة التي تفرضها سياسات المنصات تجنباً ل تعليق عضوية الحساب Suspension. بالمقابل، بعض المشاركات ميّزن بين "التحايل على المنصات" و"الرقابة" كاختيار أخلاقي.

وسبق أن تعرّضت 14 مشتركة للحد من الظهور(shadowban)، فيما تعرّضت 6 مشتركات لحذف محتوى، وتعرضت 7 مشتركات لحالات الحظر المؤقت أو الدائم. ويركز القمع بشكل لافت على المحتوى المتعلق بغزة أو المقارنات التاريخية (مقارنة نتنياهو بهتلر)، ويتم الحذف تحت ذرائع مثل "العنف" أو "الأخبار الكاذبة"، حتى عندما تكون المواد وثائقية. تشير المشاركات إلى أن إنستغرام هي المنصة الأكثر تقييداً (10 حالات قمع حصلت عليها)، خاصة بالنسبة إلى السوريات.

بعض المشاركات أوضحت أن الرقابة التي ركّزن على ممارستها ذاتياً تتصل بالأخلاق المهنية أو المؤسسية المتصلة بالعمل مع فئات محددة. من ضمنها عدم نشر صور تنتهك خصوصية المستفيدات بالنسبة للعاملات في المجال الإغاثي، أيضاً تجنب المعلومات المغلوطة أو الإساءة للناجيات لا سيما عند التعامل مع نساء تعرّضن لحالات العنف على أساس النوع الاجتماعي.

بالحرب شعرت أن كل شيء عرضة للخسارة، وباتت الخسارات التي قد تحصل على مواقع التواصل الاجتماعي ثانوية

ومن محفّزات الرقابة أيضاً تجنب التبعات السياسية أو الاجتماعية عبر تأجيل مواضيع لتجنب حملات المضايقة من المحيط الاجتماعي، وعدم التعبير عن موقف سياسي بسبب التزامات وظيفية. إلى ذلك قامت بعض المشاركات بـ "فلترة" المحتوى بهدف دعم سردية محددة، من خلال تجنب نشر ما تعتقد أنه يخدم السردية الاسرائيلية، أو من خلال التركيز على الروح التعاضدية والتضامن الاجتماعي اللبناني وتجنب التركيز على التفاصيل السلبية التي اعتبرنها من النتائج العادية في حالات النزوح والتي لا تتطلب الإضاءة عليها بل التعامل معها وتذليلها فقط.

أخيراً، وجد البعض في الرقابة الممارسة من قبلهن أداة لحماية الذات أو الهوية الشخصية حيث تجنّبن نشر مضمون معين قد يؤدي إلى تصنيفهن طائفياً، وتجنباً للعنف الالكتروني الذي قد يطالها وهي أم لأطفال تخشى تأثّرهم.

على صعيد آخر، أشارت بعض المشاركات إلى أن الحرب الأخيرة دفعت بهن إلى تخفيف الرقابة الذاتية على مواقع التواصل الاجتماعي: "بالحرب شعرت أن كل شيء عرضة للخسارة، وباتت الخسارات التي قد تحصل على مواقع التواصل الاجتماعي ثانوية".

تظهر الرقابة الذاتية في هذا السياق كظاهرة متعددة الأوجه، تتفاعل فيها عوامل متضاربة تتراوح بين الإكراهات الخارجية مثل ضغوط منصات التواصل الاجتماعي وقيود الوظيفة وتأثيرات الحرب، والاختيارات الداخلية المرتبطة بالأخلاقيات الشخصية والهوية الفردية أو السرديات السياسية التي يؤمن بها الفرد. كما تعكس تنازعًا عميقًا بين قيمتي الحرية والمسؤولية، خاصة في سياق الحرب حيث يُنظر إلى التعبير عن الرأي ليس مجرد حق شخصي، بل موقف وجودي يُحدد موقع الفرد من "الجانب الصحيح من التاريخ". هذا التداخل بين الضغوط الموضوعية والاعتبارات الذاتية يجعل من الرقابة الذاتية عملية معقدة تتجاوز الفعل البسيط لـ"المراقبة" لتتحول إلى ساحة صراع بين ما هو شخصي وسياسي، فوري وتاريخي، فردي وجماعي.

ولا تنسحب أشكال الرقابة التي تمارسها المشاركات على اختلافها إلى ممارسة رقابة على مجال التعليقات، فقد عبّرت 22 مشاركة أن مجال التعليقات مفتوح بصورة دائمة على حساباتهن. في المقابل، أشارت 3 مشاركات إلى إغلاق مجال التعليقات بصورة متفاوتة، وواحدة فقط ربطت إغلاق التعليقات بالحرب، ومشاركتان اثنتان ربطتا غلق التعليقات بقضايا أخرى تتضمن هجمات تتضمن عنفًا على أساس النوع الاجتماعي ولا تتصل بالحرب.

ثالثاً - التأثير على سرديات الحرب في عالم الخوارزميات الرقمي

من خارج سياق الحرب الجارية منذ تشرين الثاني/ أكتوبر 2023، كان النشاط الرقمي قد شق طريقًا جديدًا للحركة النسوية. وقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أداة رئيسية في حشد الناس وتنظيم الاحتجاجات سواء على أرض الواقع أو عبر الإنترنت. وانتشرت العواصف التويترية بسرعة كبيرة، حيث أثّرت التعبئة الرقمية على صناعة السياسات وتشكيل الرأي العام[13].

ويتم التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي من باب إسهامها في ديمقراطية نشر المعلومات، مما يتيح للأصوات المهمشة أن تُسمَع كما تُعتبر ساحة معركة للسرديات المتنافسة، حيث يمكن استخدام طريقة صياغة الأحداث بشكل استراتيجي لكسب الدعم الدولي، والتأثير على الرأي العام، وحتى تغيير القرارات السياسية . وهنا يمكن التطرق إلى نظرية التأطير لـ إرفينغ غوفمان التي تسلّط الضوء على التأثير التحويلي لوسائل التواصل الاجتماعي في سرديات الصراعات المعاصرة[14].

في مقالة تحت عنوان " نحو نقد العنف الخوارزمي"[15] يستطلع عدد من الباحثين الأكاديميين مقاربات متصلة بالخوارزميات ومفاهيم العنف وكيفية مقاربة هذه المفاهيم في

[13] Divedi, I. (2022, August 11). How feminist artivism and social media inspires change in gender norms. ALIGN

[14] Oguejiofor, P. O. (2024). The role of social media in shaping narratives and perceptions in the Israeli-Gaza conflict that escalated on October 2023. International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR, 8(4), 74-82

[15] Bellanova, R., Irion, K., Lindskov Jacobsen, K., Ragazzi, F., Saugmann, R., & Suchman, L. (2021). Toward a critique of algorithmic violence. International Political Sociology, 15(2), 121–150

سياق علوم البيانات، ويخلص إلى ضرورة النظر بنظرة نقدية عالية إلى ما يبدو وكأنه "ضروريات بريئة مثل تثبيت الماضي في شكل حقائق أو بيانات، باعتبار ذلك ضروريًا لتثبيت الواقع الاجتماعي ليكون قابلاً للمعالجة المحاسبية، مما يُمكّن هذه العمليات الحسابية من جعل المستقبل قابلاً للتدخل الأمني. ولعل استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في الإبادة الجماعية في غزّة، من أبرز الدلائل على مدى العنف الذي يمكن ارتكابه باستخدام هذه الآليات[16].

توضح المقالة كيف تؤثر الأنظمة الخوارزمية على الحياة الاجتماعية والسياسية والأمنية. وأن العنف لا يقتصر على أشكاله التقليدية، بل يمكن أن يحدث في مراحل جمع البيانات، أو عند نقلها بين الإستخدامات المدنية والعسكرية، أو من خلال عدم مساءلة الأضرار الناتجة عن الأنظمة الخوارزمية. لا سيما أن تحليل البنية التحتية للبيانات يحصل بغض النظر عن أصولها وسياقاتها الثقافية والجغرافية والسياسية، ما يزيد من احتمالات العنف عند استخدامها عبر الحدود في قضايا حقوق الإنسان والأمن. ويخلص الى ضرورة تطوير مقاربة نقدية لفهم كيفية تأثير الخوارزميات على القرارات الأمنية والاجتماعية، بدلًا من التعامل معها كأنظمة محايدة خالية من التحيّز.

وتشكّل الحرب الإسرائيلية على غزّة وعلى لبنان تمثيلاً صادماً لما طرحته المقالة المنشورة في 2021، والتي أظهرت أن الإنخراط في "نشر المعلومات" ربما يكون ثمنه تغذية حاجات عمليات عسكرية. وفي أيلول 2024، صدر عن المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي دراسة تناولت "الحقوق الرقمية الفلسطينية، الإبادة الجماعية ومسؤولية الشركات الكبرى"[17]. وتطرق التقرير إلى مشروع "نيمبوس" المستند الى عقد بين شركة أمازون وشركة غوغل من جهة أولى، ومع وزارة الخارجية الإسرائيل ومن جهة ثانية والذي ساهم في دعم الجهود العسكرية الاسرائيلية في غزة بعد 7 تشرين الأول 2023، وكان للخدمات المقدّمة من الشركتين العالميتين دور مباشر في العمليات العسكرية عبر استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي وتخزين البيانات والتعلم الآلي بما يشمل التعرف على الوجه وتحليل المشاعر، ودعم شركات تصنيع الأسلحة الاسرائيلية لانتاج طائرات مسيرة وصواريخ بما يساهم في العمليات العسكرية في غزة، أيضا توفير بنية تحتية تخدم الجيش الاسرائيلي في فترات الحرب بصورة خاصة. وادّعاء غوغل أن "نيمبوس" مخصص للاستخدام المدني وليس للعمليات العسكرية أو الاستخباراتية، لم يغيّر من استخدام هذه التكنولوجيا بصورة عسكرية بالكامل[18].

أيضاً يلقي تقرير المركز العربي لتطوير الإعلام الإجتماعي الضوء على دور شركة ميتا التي تملك منصات واتساب وفيسبوك وانستغرام، بحيث كشف تقرير داخلي عن إمكانية تتبع الاتصالات عبر تحليل البيانات الوصفية Metadata، مما يسمح للحكومة الإسرائيلية بمراقبة الفلسطينيين واستهدافهم. ومن أنظمة الذكاء الاصطناعي التي ذاع صيتها كان نظام "لافندر" الذي يتيح استخدام خوارزميات ذكاء اصطناعي لجمع وتحليل بيانات الفلسطينيين، بما في ذلك محادثاتهم على واتساب، بهدف تصنيفهم كـ"مشتبه بهم". ويشير التقرير أن ميتا تجاهلت الثغرات التي تتيح جمع البيانات بهذه الطريقة.

وتلعب ميتا دوراً محوريا في الرقابة على المحتوى بما يصبّ في مصلحة السلطات الإسرائيلية، من خلال الرقابة المشدّدة على المحتوى الفلسطيني أو الداعم لفلسطين بما في ذلك حذف المنشورات أو تقييد الحسابات التي تقوم بتوثيق الجرائم الاسرائيلية بما في ذلك الشهادات الحية، الصور والفيديوهات التي توثق جرائم الحرب وحتى المنشورات التضامنية مع الفلسطينيين. في المقابل، غالبا ما ينتشر المحتوى الذي يحرّض ضد الفلسطينيين ولا يخضع للرقابة. وتطبّق

[16] برجس، إ. (2024). الإبادة الذكية: حرب العالم "المتطور" ضد الفلسطينيين واللبنانيين. الشبكة العربية للمنظمات غير الحكومية للتنمية.

[17] مركز حملة يصدر تقريرًا عن الحقوق الرقميّة الفلسطينيّة في سياق الإبادة الجماعية ومسؤوليّة شركات التكنولوجيا الكبرى بعد عام من الحرب على غزة

[18] The Intercept. (2024, May 1). "Israeli weapon makers ask Amazon and Google to provide cloud services"

ميتا معايير مزدوجة حيث تتعامل الخوارزميات الخاصة بميتا مع المحتوى الفلسطيني باعتباره "خطيرًا" بشكل تلقائي وتعطي المحتوى الاسرائيلي ميزة على حساب الفلسطيني حتى لو كان المحتوى الإسرائيلي يتضمن دعوات للعنف. ومن العوامل المؤثرة أيضا على هذا المحتوى هي استجابة ميتا لطلبات "وحدة الجرائم الالكترونية" لدى الكيان الاسرائيلي، وذلك بنسبة 90% على طلبات حذف محتوى لا يناسب هذه الجهة.

هذه الاستجابة تأتي في سياق عمل إسرائيلي منظّم بدأ في عام 2015 عندما رفع 20,000 مواطن إسرائيلي دعوى ضد "فيسبوك مطالبين بتعويض قدره مليار دولار، مدعين أن "ميتا" كانت "تسهل وتشجع" الإرهابيين الفلسطينيين". وفي غضون عام، تم إسقاط القضية، وأنشأت إسرائيل وحدة شرطة جديدة لمكافحة "الإرهاب الإلكتروني"، ووافق المسؤولون الإسرائيليون على التعاون مع "فيسبوك" لمكافحة التحريض عبر الإنترنت. وأسست الحكومة الإسرائيلية الوحدة الإلكترونية المذكورة. وفي أكتوبر 2023، ومع بداية الحرب على غزّة، أصدرت الوحدة الإلكترونية 2,150 طلباً، فامتثلت "ميتا" مرة أخرى لـ 90% منها[19].

وتتجاوز العلاقة الخاصة بين إسرائيل و"ميتا" وحدة الإنترنت، فعلى مدار العقد الماضي، تولّى مسؤولون حكوميون إسرائيليون سابقون مناصب مهمة في "ميتا". على سبيل المثال، يشغل مدير سياسة "ميتا" العامة في إسرائيل والشتات اليهودي منصب مستشار سابق لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. علاوة على ذلك، عندما أسست "ميتا" مجلس الإشراف المستقل، تمّ اختيار رئيس سابق لوزارة العدل الإسرائيلية ليكون عضواً في المجلس[20].

وليست الخوارزميات أداة عسكرية فقط، بل تلعب أيضًا دوراً محورياً في الترويج لصور جندرية مربحة اقتصادياً. وتُستخدم الخوارزميات كأداة سلطة على التفضيلات والهوية، كما تعتمد البنية التحتية لمنصات التواصل الاجتماعي على المؤثرين في تحقيق الأرباح عبر جذب الانتباه. وتحدد الشركات التي تملك وتدير هذه المنصات النشاطات التي تحصل على منصاتها وتفرض العديد من القواعد عليها. وبهذا المعنى تعيد مواقع التواصل الاجتماعي إنتاج المعايير الجندرية من خلال تفاعلها مع نشاط المستخدمين وتجاربهم.و في بعض الحالات، يؤدّي ذلك إلى هيمنة معايير جندرية محددة وإسكات معايير أخرى.

في الوقت نفسه، تمكّنت المجموعات المهمشة من استخدام ميزات المنصّات لتعزيز قدرتها على العمل عبر الإنترنت والتعبير عن نفسها بطرق قد تكون مقيّدة في سياقات أخرى، غير إلكترونية[21]. وفي ظل تصاعد أصوات اليمين المتطرف على وسائل التواصل الاجتماعي، تجد النسويات أنفسهن اليوم في الخطوط الأمامية للمعركة ضد المعلومات المضللة، ولترويج الخوف، والكراهية وهي تحديات جدية تعرقل إيصال الرسائل النسوية بشكل فعال[22].

إنّ الطبقات المتعددة الاستخدامات هي منصات التواصل الاجتماعي وهي تعدّ جزءًا من العملية العسكرية، وأداةً لإعادة إنتاج الأدوار النمطية، سواءً عبر تكريس أدوار النساء والرجال بين السلم والرعاية من جهة، والحرب والعنف من جهة أخرى. وتحوير هذه الأنماط عبر استغلال حضور النساء في الجيش الإسرائيلي بالتساوي مع الرجال، بهدف التلاعب بالتصوّر العام حول المعركة وتأطيره من زاوية الغسيل الوردي[23]

[19] Sype, E. (2024, March 20). "The Meta-Israel nexus: Silencing Palestinian voices in the digital landscape." Human rights APC Talk. Updated 25 October 2024

[20] Sype, E. (2024, March 20). "The Meta-Israel nexus: Silencing Palestinian voices in the digital landscape." Human rights APC Talk. Updated 25 October 2024

[21] Diepeveen, S., & DIthinkchange. (n.d.). Hidden in plain sight: How the infrastructure of social media shapes gender norms. ALIGN.

[22] Kim. (2023, May 4). The Social Media Revolution is Reshaping Feminism

[23] لمعرفة أعمق عن معنى مصطلح "غسيل بنفسجي"

يعقّد إمكانية تقدير حجم التوازن بين منح المنصة للأصوات المهمّشة وبين بناء سرديات الحرب، وتظهر فرصة إعادة تأطير سرديات الحروب من زاوية النساء المؤثّرات على مواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي إحداث تبدّلات في نظرة المجتمع للحرب بذاتها ولدور النساء فيها. هذا الأثر على علاقة الحرب مع مقاربة الأدوار الجندرية نمطياً، يتأثر بدوره بالأدوات الأساسية للتفاعل والنشر عبر هذه المنصّات، والمفاهيم المتصلة بهذه المساحات وطريقة عمل الخوارزميات[24].

وعلى مستوى استخدام الأفراد والمؤسسات وسائل التواصل الاجتماعي، تتيح منصّاتها النشر السريع للمعلومات والصور ومقاطع الفيديو المتعلقة بالصراعات بشكل فوري. وهذا النشر الفوري يُمكّن السرديات من الانتشار بسرعة، وبالتالي الوصول إلى جماهير عالمية ويؤثر على تصوراتهم أثناء تطور الأحداث. وتدعم منصات التواصل الاجتماعي المحتوى متعدد الوسائط ما يضيف بُعدًا جديدًا لسرديات الصراع، حيث تسهم في إنشاء ونشر روايات مؤثرة تتفاعل مع الجماهير على مستويات عاطفية وبصرية. كما تُتيح وسائل التواصل الاجتماعي لمختلف المستخدمين سواءاً كانو أفراد أو منظمات أو الحكومات، بإنشاء المحتوى ومشاركته مباشرة مع جماهيرهم، متجاوزةً الحواجز التقليدية للإعلام. هذه الآلية في تدفق المعلومات تسمح بظهور روايات متنوعة تتنافس على جذب انتباه الجمهور. هذا بالإضافة إلى تأثير الشبكات، المتصل بالطبيعة المترابطة لمنصات التواصل الاجتماعي التي تُضخم من نطاق وتأثير السرديات. حيث يمكن أن ينتشر المحتوى بسرعة من خلال المشاركة وإعادة التغريد وإعادة النشر، الأمر الذي يؤثر على الرأي العام ويُشكّل التصورات والسرديات على مستوى عالي. إلى ذلك فان غرف الصدى وفقاعات التصفية هي من الظواهر التي تحد من الآثار المفترضة أعلاه، حيث يمكن لخوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي وتفضيلات المستخدمين أن تحصر تعرُّض الأفراد بشكل أساسي للروايات التي تتماشى مع معتقداتهم ووجهات نظرهم الحالية. هذه الظاهرة يمكن أن تعزز التحيزات القائمة وتستقطب التصورات حول الصراعات.

1 خلفية في تعريف السردية

السردية بمعناها السياسي تحتمل تعريفات عديدة ومركّبة. فالسرديات هي"القصص التي يرويها الناس، والتي توفر مصدرًا غنيًا للمعلومات حول كيفية فهمهم لحياتهم، وكيفية بنائهم للحقائق المتفرقة[25] ونسجها معًا إدراكيًا لفهم الواقع بما يبيّنها مساحةً لفهم الفعل السياسي والاجتماعي. بالمقابل، تشكّل السردية السياسية أداة لتشكّل واستمرار القيادة السياسية، وهي من هذه الزاوية القصص الكبرى التي يرويها القادة السياسيون مباشرة للجمهور والناخبين. من خلال هذه السرديات، يشكل القادة السياسيون تفضيلات الرأي العام عبر تقديم رؤية سياسية، وأهداف ذات صلة، وكيف يؤدون بشكل أفضل من الآخرين في قيادة السياسات نحو تحقيق الأهداف المقترحة. كما أن الهويات تُبنى من خلال السرديات التي تربط الأفراد بمواقعهم الاجتماعية، وتوفر سياقًا لفهم تجاربهم وتوجهاتهم السياسية، وهو ما يعبّر عن اتصال السردية السياسية بتشكيل الهوية السياسية للأفراد وتحديد مواقعهم الاجتماعية. أما في سياق النزاعات، فإن السرديات السياسية ""تمثل القصة الجماعية التي تبرر هوية الجماعة، ومظلوميتها، وشرعية مطالبها، وغالبًا ما تكون أداة مركزية في إنتاج الذاكرة الجمعية[26] .

[24] Oguejiofor, P. O. (2024). The role of social media in shaping narratives and perceptions in the Israeli-Gaza conflict that escalated on 82-October 2023. International Journal of Academic Multidisciplinary Research (IJAMR, 8(4), 74

[25] Vliegenthart, R., Walgrave, S., & van Aelst, P. (2023). When the political leader is the narrator: The political and policy implications of narrative leadership. Policy Sciences, 56, Article 20

[26] Somers, M. R. (1994). The narrative constitution of identity: A relational and network approach. Theory and Society, 23(5), 605–649

"لا رفيقات في القيادة" هو العنوان الذي أعطته دلال البزري لكتابها "دفاتر الحرب الأهلية"، الذي تقدّم فيه سردية للحرب الأهلية مبنية على تجربتها كعضو في منظمة التحرير الفلسطينية-فتح، تفضح فيه الممارسات المنهجية لاستبعاد النساء من مواقع القرار والقيادة أثناء هذه الحرب، رغم تولّيهن أدوارًا تصب في صلب النزاع السياسي المسلح وغير المسلح وقتها. ومن خلال إبراز دورها ورفيقات لها، فإنها تفضح أيضاً الطمس الذي حصل للأدوار الفعلية التي خاضتها النساء في هذه الحرب، وتعترف فيه بدورها ودور رفيقاتها بإعلاء مصلحة التنظيم السياسي على التعامل مع هذا التمييز المنهجي.

في مقدّمة الكتاب الصادر عام 2017 تبيّن البزري أثر الحرب في سوريا بوصفها دافعاً أساسياً للعودة إلى ذاكرتها مع الحرب الأهلية اللبنانية وتقديم سرديتها حولها من باب "المذكّرات والشهادات"، محددةً بهذا الوصف موقعا من التأثير على السرديات المهيمنة عن هذه الحرب، والمحدودة بإعادة بناء بعض الحقائق من خلال سرد قصص الناس المعنية. وهو ما يتصل بصورة مباشرة بالاستبعاد الممتد من الدور القيادي وما يرافقه من سلب القدرة على التواجد في "القصص الكبرى". وفي الواقع الذي تتبنّاه البزري، فإن كامل الحزب السياسي (وفصيله المسلّح) استبعد من القيادة عند انتهاء الحرب.

في عام 2023 صدر كتاب "طواحين الهوى" عن لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين، وفي التمهيد الموقّع باسم اللجنة، جاء الآتي: "فجأة اكتشفنا أنه مضى أربعون عاماً على بدء تحرّكاتنا في الشارع بحثاً عن أحبّائنا الذين سرقتهم منا الحرب. المفاجأة بالأربعين لا تعني، بالضرورة، أن الوقت قد مرّ بسرعة بل مرّ ونحن مشغولات بالنضال وبتلقّي موجات التخويف والقمع والترهيب(...)". وفيما يقف الأهالي هنا في نفس الموقع من بناء السرديات، مثل البزري، فإنّهم يعبّرون عن أثر الهيمنة والعنف في القدرة على التوقف لسرد القصة والتجربة الفردية، وبالنتيجة تأجيل تطوير السردية ذاتها لعقود.

إنّ الكتابين المذكورين أعلاه يتميزان بكونهما تدوينًا مكتوبًا لسردية تقدّمها نساء حول الحرب تبعاً للتجربة التي اختبرْنَها خلالها، وليس من زاوية العنف الجندري حصراً إنما من باب الفعالية السياسية كجزء من هذه الحقبة، وهو ما يؤدي بصورة عضوية إلى فتح باب للتعديل في السرديات المهيمنة، حول تاريخ هذه الحرب من جهة وحول موقع النساء فيها من جهة ثانية. وتأتي هذه الأدوار من خارج قوالب نمطية حول الأدوار التي تقوم بها النساء في النزاعات المسلّحة.

على المقلب الآخر، تأتي هذه التوثيقات بعد مرور ما يزيد عن العقدين من العمرعلى عيش التجربة الموثّقة. وبهذا تختلف هذه الممارسة التوثيقية عن استخدام المنصات الرقمية لتوثيق مجريات الحرب الحالية، وسرديات النساء حولها، لجهة الآنية والارتباط مع اللحظة والتفاعلات المتصلة بها لجهة الأشخاص الذين عاشوها. يبقى لافتاً أن هذا التوثيق (لجريات الحرب اللبنانية 1975) قد حصل بالتزامن مع الطفرة الرقمية التي عزّزت قيمة التجربة الفردية وتجربة الفئات المهمّشة كجزء يصعب إهماله في بناء السرديات حول الحروب.

2
تأطير تعريف السردية في مقاربات نساء فاعلات خلال الحرب على لبنان.

لفهم الزاوية التي تعرّف من خلالها المشاركات مفهوم "السردية" بوصفها مجالاً متأثّراً(قابلاً للتأثّر) بالأدوار التي قمن بها خلال مرحلة الحرب (نزاع)، تم اقتراح خمسة تعابير تتصل بهذا المفهوم على المشاركات، ثم فتح المجال لكل واحدة للتوسّع من خلال توضيح خيارها أو إضافة عناصر تعتبرها غير متوفرة في هذه العبارات أو تقديم تعريف آخر تجده معبّراً. ويحق لكل مشاركة أن تختار أكثر من تعبير واحد.

والخيار الذي حاز على 20 تأييدًا من قبل المشاركات هو: "السردية هي قصص الأفراد وأفكارهم حول حدث يختبرونه بشكل جماعي"، بعده مباشرة يأتي تعريف :"السردية هي التاريخ

الشفوي والذاكرة الجمعية" الذي أيّدته 13 مشاركة. وقد أيّدت 9 مشاركات خيار: "السردية هي القصة التي يتبناها المجتمع"، و8 أيّدن أن "السردية هي البروباغندا الأنجح"، وأخيراً حصل التعريف الذي يطابق السردية مع التاريخ ومفاده أن "السردية هي التاريخ الذي يكتبه المنتصر بكل الأحوال" على 5 تأييدات فقط.

وفي سياق توسّعهن في توضيح أفكارهن عن السردية برز اتجاهان بين المشاركات، واحد قارب السرديات بوصفها أداة هيمنة، وآخر اعتبرها أداة تحليلية ومفاهيمية تعكس تفاعل الأفراد والمجتمعات مع الحدث . وعلى الرغم من انطلاقهن من مفاهيم موحّدة طرحت عليهن لتطوير المعنى المقصود من مصطلح السردية في السياق السياسي اللبناني والإقليمي الذي تفاعلن ضمنه، غير أن التعريفات والمقاربات التي قدمتها المشاركات عبّرت عن طيف واسع من الاختلافات الدقيقة في تعريف السردية، وهو ما يجعل انخراطهن في مجال مشترك يحتمل إحداث أثر في السرديات، الأقل فعالية.

التعدد السردي والصراع على المعنى

ترفض ندى عبد الصمد المقولة التقليدية "التاريخ يكتبه المنتصر"، معتبرة أن "السردية ليست منتجًا جمعيًا موحدًا، بل نتاج تلاقٍ فكري بين أفراد يشتركون في الرؤية أو التجربة". هذا التصور يزيح مركزية السلطة كمنتِجة وحيدة للسردية السياسية، ويُبرز تعددية الأصوات، خاصة في ظل فورة وسائل التواصل الاجتماعي، التي "أحدثت حالة من تفتت السرديات وتعددها مع وجود شهود مختلفين"، تبعاً لـ عبد الصمد. بالمقابل، تربط عبد الصمد التفاوت في القدرة على فرض المساحة لسردية محددة بين السرديات المختلفة عن حدث معين بالقدرة على التلاقي المفاهيمي:

"نحن لسنا متفقين على المفاهيم، تحديداً مفهوم الانتصار. حزب الله يقول نحن انتصرنا لأننا استطعنا البقاء. أما برأيي، حزب الله قد انهزم لأنه فقد الأدوات التي كان يملكها قبل الحرب. غارات وتدمير وتهجير والحزب غير قادر على فعل شيء. فقد أدواته وقياداته وهذا هو معنى الهزيمة. نحن لسنا متفقين/ات على المفاهيم لكي تحدد المنتصر من المهزوم، وهنا تكمن المشكلة. والالتقاء على الآراء المتعلّقة بحدث محدد هو أمر فطري ولا يوجد سردية جماعية مؤطرة، بل حصراً بالفطرة. وهو ما يختلف عن سياق الحرب الأهلية لجهة وجود أحزاب أيديولوجية وقتها كان أعضاؤها يلتقون على آراء ومفاهيم مشتركة بفعل التأطير. أما في المرحلة الحالية، فإن الناس تذهب باتجاه فكري معين: إما ضد الحرب، أو تبني هذه الحرب كونها إسناد ضد إسرائيل وفعل مقاومة ولكن على طريقة حزب الله ولا يوجد طرق أخرى. أعتقد في الجهتين الناس ضد إسرائيل، البعض هم ضد إسرائيل وضد حزب الله باعتبار أنه زاد من قوّة إسرائيل، والبعض الآخر ضد إسرائيل وهم مع حزب الله لأن شعار حزب الله يقول أن هو سوف يعيد فلسطين".

الصراع بين السرديات عادةً ما يكون ذي بعد طبقي، فهناك سردية أكثر رسمية تعبّر عن طبقة حاكمة تناهضها سرديات بديلة. بشكل عام السردية هي قصة، وفي لبنان هناك مليون قصة، ولم تكن السردية موحدة أبدًا ولو لمرّة واحدة

وتطرح آية أبي حيدر تصورًا يعتبر أن السردية بطبيعتها ليست موحدة، وهي بهذا تتفق مع ما عبّرت عنه عبد الصمد باستخدام مفاهيم "الطبيعة" و"الفطرة"، الذي يقبل عنصر تعدد السرديات كأمر واقع في سياق الحرب على لبنان

حيث تتعدد بتعدد وجهات النظر. تقول أبي حيدر أن "الإنترنت غيّر المعادلة، فأصبح الأفراد قادرين على اختيار السردية التي تناسب قناعاتهم، وهو ما لا ينفي وجود سردية طاغية تنجح في فرض نفسها وتُعتمد لاحقاً في كتابة التاريخ". وبهذا تختلف أبي حيدر عن عبد الصمد لجهة النظرة إلى كتب التاريخ كامتداد للقدرة على السيطرة على السرديات في لحظة ما من التاريخ، وتحدد باعتباره ينقل السردية السياسية من كونها مجرد فرض سلطوي إلى مساحة تنازع وتفاوض.

هذا التعدد أيضًا تصفه سارة قدورة، ولكنها تنقله من حيّز التشرذم الذي ينهي احتمال كتابة المنتصر للتاريخ، أو التعدد الذي يخلق مساحة للتفاوض إلى صراع أزلي بين القصة كأداة سياسية بيد القيادة تصنع سردية مهيمنة، والقصة كـ مروية متنَاقلة تُناهض الطغيان ويتم اقتراحها كبديل.

"دائماً يوجد سردية مهيمنة في المجتمع - ثقافيًا وسياسيًا، بينما هناك سرديات مضادة عادة تكون متعلقة بالتاريخ الشفوي غير التقليدي وتأتي من أماكن أو منهجيات غير تقليدية وغير معتمدة من قبل الدولة والمؤسسات التعليمية والثقافية وغيرها. الصراع بين السرديات عادةً ما يكون ذي بعد طبقي، فهناك سردية أكثر رسمية تعبّر عن طبقة حاكمة تناهضها سرديات بديلة. بشكل عام السردية هي قصة، وفي لبنان هناك مليون قصة، ولم تكن السردية موحدة أبدًا ولو لمرّة واحدة".

وتتكامل مقاربة قدورة مع مقاربة أماني جحا التي ترى في السردية "أداة هيمنة"، تُوظَّف سياسيًا وأيديولوجيًا، دائماً ما تواجه بسرديات مضادة يحتضنها التاريخ الشفوي: "من يسيطر على السرد، يسيطر على الذاكرة الجماعية، هذا لا ينفي أن هناك التاريخ الرسمي المدون والمدرّس، والتاريخ الشفوي المتناقل، لكن الأخير وإن حمل روايات مضادة، يبقى عرضة للتشكيك والتهميش. القوة السردية تكمن في الجماعة، مما يعطيها مصداقية أكبر وقدرة على الصمود أمام الروايات الرسمية". والشرط الأخير، يعيد مفهوم السردية في سياق التعدد والتشرذم السردي في سياق الحرب على لبنان إلى النقطة التي طرحتها عبد الصمد، والمتصل بالتوافق الواعي على مفاهيم محددة.

إيناس شري من جهتها تخرج تعدد السرديات وحتى تشرذمها من حيّز الصراع، معتبرة أن "هناك تناقضًا ظاهريًا بين فكرة البروباغندا (السردية المهيمنة) والذاكرة الشفوية (المتعددة)، لكن في الواقع السرديات تُفرض من أعلى، لكنها تُختبر وتُعاد صياغتها في القاعدة".

السردية كفعل منظّم والسردية والسرد كفعل عاطفي

في سياق آخر، تشير مشاركات إلى ضرورة التمييز بين بناء السردية كفعل منظّم والسرد العاطفي والذاتي للقصص. تقول ديانا مقلّد في هذا السياق "السردية هي إعطاء معنى للحدث، وهذا المعنى لا ينبع فقط من التجربة المباشرة، بل من خلفية معرفية وتاريخية". من جهتها ترى إلسي مفرّج أن "الأفراد غالبًا ما يميلون إلى استخدام قصصهم كأداة بروباغندا، لكن فعليًا هذه السرديات تبقى محصورة ضمن شبكاتهم الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى محدودية تأثيرها في مواجهة الفعل المنظم القادر على تحقيق نتائج ملموسة. وهذا يُظهر فجوة بين إمكانات التعبير الفردي وبين القدرة على التغيير".

السردية هي إعطاء معنى للحدث، وهذا المعنى لا ينبع فقط من التجربة المباشرة، بل من خلفية معرفية وتاريخية

ونرى في الطّرحين مقاربة أبعد من تحليل الصراع وأسباب التعدد، وأقرب إلى إبراز العناصر التي تدخل السرديات في حيّز الاعتراف بها في سياق جماعي، بالتالي فرض وجودها والاضطرار إلى التفاعل معها وصولاً إلى احتمال التغيير، حيث يطاح بسردية مهيمنة لمصلحة هيمنة سردية جديدة.

تلتقي عليا عواضة مع إلسي مفرج لجهة أهمية التنظيم في سياق صراع مصالح سياسية حيث تصبح السردية أداة في هذا الصراع وليس محوره. هذا التصور يفتح الباب أمام تحليل السردية بوصفها أداة تُستخدم في الصراع الرمزي والسياسي، وليست غاية بحد ذاتها. وفي سياق الحرب، تكون الغاية هي حشد المناصرة في الحدود التي تقلب موازين القوة. وفي طرح عليا، البروباغندا الناجحة هي التي تحقق هذا الهدف، والسردية أداة من أدوات صناعة البروباغندا:

"السردية هي أداة من أدوات صناعة البروباغندا. نحن من جهة فلسطين خرجنا بسردية مبنية على قصص أفراد، بالمقابل ما فعله الإسرائيليون هو بروباغندا اعلامية، جنّدوا فيها كل الإعلام، وتوزّعوا الأدوار، الناطق باسم الجيش يتكلم على مواضيع محددة بدقة، تختلف عن مواضيع تصريحات الناطق باللغة العربية كذلك عن مواضيع تصريحات ناتنياهو، لكنها جميعها تتضمن سردية مشتركة. من اللحظة الأولى إسرائيل ربحت الحرب حيث أن البروباغندا التي أنتجتها بما فيها من معلومات مزيّفة، أدت إلى إقصاء التاريخ السابق على 7 أكتوبر وتكريس قناعة عالمية أنها في حال دفاع عن النفس. لا أنكر أن الفلسطينيين لأول مرّة في التاريخ يكون لديهم سردية مضادة ولكن هذا لا يعني أنهم ربحوا. نحن شعرنا بقيمة كبيرة لهذا التأييد فقط لأنه يحدث للمرّة الأولى. إذن، المظلة الأوسع هي البروباغندا، السردية تأتي تحتها وقصص الأفراد هي جزئية ضمنها. السردية هي جزء من البروباغندا، يمكن أن تبنى السردية على معلومات، على قصص أو على أفكار".

تتقاطع سحر غدّار مع عليا عواضة في الربط بين البروباغندا والسردية من جهة وتحديد المنتصر من جهة ثانية. ولكن الاختلاف يكمن بكون غدّار تعرّف السردية على أنها مطابقة للبروباغندا من زاوية المجتمع، فيما تعرّف السردية على أنها توثيق الحدث باعتباره واقعًا ومعلومة وبغض النظر عن أي تعريف موضوعي للرابح والخاسر. أخيراً، ترى أن التعريفين(السردية والبروباغندا)، تغيّرا في ظل واقع وسائل التواصل الاجتماعي، لتصبح السردية هي قصص الأفراد وأفكارها حول حدث يختبرونه بشكل جماعي: "السردية هي الحدث الذي حصل وتم توثيقه بغض النظر من ربح ومن خسر. أما في المجتمع، السردية هي البروباغندا التي انتصرت. في ظل واقع السوشيل ميديا أصبحت السردية هي قصص الأفراد وأفكارهم حول حدث يختبرونه بشكل جماعي".

السردية كمساحة نتحمّل فيها مسؤوليات فردية

ومن حيّز الصراع إلى حيّز المسؤولية الفردية، تركّز بعض المشاركات على تعريف السردية بوصفها مساحة تجمع عناصر مختلفة مثل التوثيق والتأويل والتحليل واتخاذ الموقف وصولاً إلى تطوير الخيال السياسي. وتُجمع المشارِكات في هذا السياق أن السردية ليست سردًا منعزلًا، بل تُنتَج من خلال التوثيق وتفاعل الأفراد مع ذاكرتهم وتجاربهم.

ترى مروى صعب أن "السردية ليست جاهزة، بل تُنتج عبر التوثيق، أي عبر حفظ وتجميع التجارب والوقائع". فهي مشروع جماعي، هدفه ترسيخ الذاكرة وكتابة التاريخ. فيما تضيف هديل إسكندر عنصر الترابط بين الذاكرة الفردية والجماعية، وترى أن السردية "ليست مجرد تسجيل للأحداث، بل عملية تأويلية تحوّل التجربة إلى لغة أو رواية قابلة للمشاركة".

رشا وزني تدعم هذا الربط بين السردية والتاريخ الشفوي، مؤكدة أن "السردية مرتبطة بالذاكرة الجماعية للأشخاص الذين عايشوا لحظة محددة، هذه الذاكرة لها دور في كتابة تاريخ الأحداث التي حصلت، والسردية هي ذاكرة الأفراد ضمن مرحلة معينة عن وضع كان قائماً وقتها. السردية هي الأفكار والصور النمطية والفكر الجماعي المتصل بتلك المرحلة". وزني أيضا تربط تبدل السرديات بتبدّل الذاكرة البصرية، حيث تقارن بين السرديات عن النساء في حروب سابقة بوصفهن مجرّد ضحايا والتي تتعلّق أوّلاً بذاكرة بصرية تتصل بالصور الأكثر انتشاراً، مع الوقت الحالي، واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لنشر صور النساء بينما تؤدين دوراً قيادياً، وهو

ما يحدث تغييراً في السرديات التي تحدد الصورة النمطية للنساء في الحروب، فاتحةً بذلك نافذة لإعادة التفكير بأثر الانخراط في إنتاج السرديات السياسية لخدمة قضايا متّصلة بالحرب، لكنها غير عالقة في حيّز القضايا الكبرى حيث يحتدم الصراع الذي سيحدد في النتيجة مفهوم الانتصار ومعه من هو المنتصر، ومفهوم الانهزام ومعه من الذي تعلن هزيمته.

وفي اتجاه مشابه، يتصل بالأرض والحيّز المكاني، تقدّم نادين بكداش مقاربة تنظر إلى السردية بوصفها أداة لإنتاج "خيال سياسي" بديل. وتوضح كيف أن ممارسات يومية بسيطة كـ"لعب الأطفال في الأراضي الخاصة" يمكن أن يبنى حولها سردية تُعارض المفاهيم المهيمنة عن قدسية الملكية الخاصة. في هذا السياق، تبرز السردية كأداة مقاومة، توثق الممارسات غير الرسمية كمجال لتحريك الخيال السياسي بهدف تكريسها كحق مكتسب، بما يدفع باتجاه تغيير سردية كانت مهيمنة وسياسات مبنية عليها. في سياق الحرب والدمار، تكون بالتالي معنية بإعادة الإعمار واستعادة كل ما طُمِس من ذاكرة المكان المدمّر، لتمتد عملية الاستعادة إلى ما قبل التدمير الأخير والى كل عمليات التلاعب في نفس الحيّز المكاني وطمس ثقافته.

خلاصة مركّبة لتعريف السردية

لقد عرّفت المشاركات السردية بطيف من المفاهيم التي تتقاطع أحياناً وتتعارض في أحيان أخرى. السردية هي نتيجة بالنسبة للبعض، وهي أداة بالنسبة للبعض الآخر. نتيجة، للتأويل، والتحليل والتوثيق وتنظيم هذه الممارسات، وهي أيضاً نتيجة لتلاقي فكري جماعي. بالمقابل، السردية هي أداة لصناعة البروباغندا، وإن احتاجت إلى ما سبق ذكره، فإن الغاية من هذه الحاجة هو انجاح البروباغندا، والا تبقى السردية بلا أثر وربما تندثر.

السردية أيضاً واحدة بالنسبة للبعض وهي متعددة بالنسبة لغيرهم. والتعدد بحد ذاته يعني مساحة إغناء وساحة تفاوض بالنسبة للبعض، وتشرذم بما يحمله من خسارة لفرصة، بالنسبة للبعض الآخر. ومصدر التعدد هو اختلاف مفاهيمي بالنسبة للبعض، بينما هو نتيجة حتمية لصراع مصالح بالنسبة لغيرهم، وهو نتيجة حتمية للتطور التكنولوجي ومواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة لكثيرات. بالنسبة للبعض السرديات هي تعددية بالفطرة وبطبيعتها، أما غيرهم فيرى أن السردية هي أداة سلطة وهيمنة ما يجعل التمييز بين نوعين من السرديات قائمًا بالدرجة الأولى على التمييز بين السردية المهيمنة والسرديات المضادة أو البديلة، بالتالي لا يمكن تخيّل التعدد إلا في مرحلة المعارضة ومحاولة التغيير، وهو ما يركز الهيمنة والسلطة كهدف للسرديات التي هي مضادة في المرحلة الآنية.

وبالنسبة للبعض السردية تبنى من خلال التوثيق، وتحمُّل المسؤولية الفردية عن هذا التوثيق ما دام يحصل وبصيغة مستمرة. أما البعض الآخر فيرى أن بناء السردية لا يمكن أن يحصل في الأساس إلا من خلال تنظيم جماعي واستراتيجيات واضحة.

3

تفاعل المتابعين والتفاعل معهم

أشارت 9 مشاركات إلى تغيير في جمهورها المتابع خلال الحرب في الاتجاهين زيادة ونقصانا تبعاً للموقف السياسي، من بينهن 6 لاحظن أن مجمل عدد المتابعين على المنصات التي تنشر عليها قد ارتفع، ما يعني أن الزيادة في المتابعين فاقت النقصان. المشاركات الـ 6 هم من أصل 15 مشاركة لاحظن زيادة في عدد المتابعات على صفحاتهن تبعاً للمحتوى الذي كن تنشرنه عن الحرب. ما يجعل عدد المشاركات اللواتي لاحظن زيادة من دون أن يقابلها تراجع يذكر في عدد المتابعين هو 9 من أصل 25. واحدة من بين المشاركات اللواتي زاد عدد متابعيها على منصة إكس، أشارت إلى ثبات في عدد المتابعين وانخفاض بالتفاعل على منصة انستاغرام نتيجة عدم ظهور المحتوى الذي تنشره عبر المنصة الأخيرة (Shadow ban). أما بالنسبة لمنصة إكس فإن الزيادة في عدد المتابعين

شملت "جمهوراً مهتماً بمناهضة الصهيونية، بينما كان متابعوها سابقاً هم من الأشخاص الذين يهتمّون بالقضايا الجندرية".

آية أبي حيدر لاحظت ارتفاعًا في عدد المتابعين على صفحة انستاغرام خلال الحرب، وهي المنصّة الوحيدة التي تستخدمها المشاركة. وتربط آية هذه الزيادة بنشرها ثلاثة مقاطع قصيرة (ريلز) وثّقت فيها تجربتها الشخصية خلال الحرب، إذ تقول: "خسرت بيتنا، هذا البيت نقلت أمي ملكيته لي ولأختي بعد أن نقلت جدتي ملكيته لنا، انه تقليد بدأت به جدتي وله بعد نسوي أوضحته في الفيديو". ومن المسائل التي تناولتها آية أيضاً " مشاهد إنسانية ومواقف تعبّر عن واقع التهجير والاستقبال في زمن الحرب، مركّزة على سرد تجربتي كفتاة استقبلت أهلي خلال هذه المرحلة". بالنسبة للمشاركة تركّز اهتمامها على التعبير عن مفهوم المقاومة من باب أوسع من حصره بمقاومة الاحتلال إنما بكيفية تفاعلنا في المجتمع الواحد "بين بعضنا وقبول بعض".

بالمقابل فقط 3 مشاركات كان انسحاب جزء من جمهورهن المتابع ملحوظاً لكن أثره محدود عددياً بسبب التوازن الناتج عن انضمام جمهور جديد أكبر. 5 مشاركات لم تتاثر متابعاتهن، من بينهن 2 عبّرن عن أن عدم التأثّر متصل إمّا باختيارها لسياسة خصوصية صارمة على مواقع التواصل الاجتماعي بالأساس، وميلها إلى النشاط السياسي الفعلي أكثر من الإلكتروني مع تفضيل لعدم الظهور: "تلقيت الكثير من طلبات المتابعة على انستغرام وفايسبوك إثر فيديو متصل بحماية الصحافيين خلال الحرب، الأمر الذي وضعني أمام تساؤل تجاه رغبتي في خوض نقاش على هذه المنصات. فجأة وجدت نفسي بسبب فيديو واحد في الدائرة العامة". وأشارت مشاركة من اللواتي ركّزن نشاطهن على واتساب لنشر معلومات حول الانتهاكات الإسرائيلية إلى أن غياب التبدلات في الجمهور على صفحتها على منصة فيسبوك يتصل بمحدودية تعبيرها عبر استخدامها للمنصة كمساحة أساسية للتعبير عن الرأي خلال الحرب مستذكرةً ما واجهته إثر انتفاضة 17 تشرين 2019 حيث حذفها الكثير من الأشخاص تبعاً لموقفها المعارض لـ حزب الله في ذلك السياق، في حين أنه خلال الحرب كانت لتقع ضمن التصنيف المؤيد لحزب الله خلافاً لما هي تراه في موقفها بأنها معادية للصهيونية:"لأوّل مرة في حياتي أشهد على انقسام طائفي عميق لهذه الدرجة في المجتمع، لذا لم أنخرط في النقاش على فايسبوك، خلافاً لما فعلته في 17 تشرين وقد حذفني الكثير من الأصدقاء وقتها".

وفيما تشي هذه المعطيات بأن الأثر كان أكبر لجهة تغيّر في جمهور المشاركات أكثر مما هو تغيّر في السرديات التي يتبناها جمهور ثابت، مما يشي بحصول تفاعلات ضمن فقاعة صدى ناشئة، فان المشاركات عبّرن عن أن التبدلات في الجمهور لم تدفعهن لإجراء أي تعديل في المضمون انطلاقاً من كونه يعبّر عن موقف جذري، أو ممارسة مهنية، أو ببساطة رفضاً لاتباع مسار "ما يطلبه المستمعون". ويشار إلى تعديلات محدودة قامت بها المشاركات، منها التوقف عن استخدام أداة السخرية اللاذعة لكونها غير مناسبة في سياق الجريمة التي ترتكب. بينما لجأت بعض المشاركات، لاسيما في المؤسسات إلى تعديلات في التصميم البصري وكيفية استخدام الألوان. إلى ذلك يسجّل من إجابات عدد من المشاركات أن الحرب أدّت إلى ازدياد اهتمامهن باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، من ضمنها بعض المؤسسات، باعتبارها فعّالة في وصول المحتوى إلى فئات أوسع من الجماهير، حتى بالنسبة للمحتوى التقني والتخصصي. تشير الساحلي على سبيل المثال إلى التحوّل المتصل بالمضمون القانوني الذي كان يعتبر "نخبوياً وبحثياً، لكن مع تصاعد الحرب، تغيّر هذا التصوّر لا سيما مع ازدياد الطلب على المحتوى القانوني، ما دفع الفريق إلى إنتاج محتوى خاص بوسائل التواصل الاجتماعي، ولاحقاً جمعه وتوثيقه على الموقع الإلكتروني، وهذا العمل استدعى تغيير في اللغة القانونية المستخدمة والحد من تقنيتها وجعلها أكثر قربا لغير المتخصصين، بفعل الحاجة إلى وجود خطابٍ قانونيّ يحمل بعدًا إنسانيًّا أوسع".

الثقة بمصادر المعلومات

طرحت مجموعة من مصادر المعلومات على المشاركات، تتضمن أدوات مختلفة ضمن الإعلام

التقليدي ومنصات تواصل اجتماعي مختلفة، وتشترك جميع المصادر التي اقتُرحت بكونها من الأدوات التقليدية لصناعة البروباغندا والتأثير بالجمهور العام. وطُلب من المشاركات أن يختزن المنصات التي يستخدمْنها كمصدر للمعلومة خلال الحرب، ومن أولى اللاحظات اللافتة في الإجابات، هي غياب الثقة (في الغالبية العظمى من الإجابات) بالمعلومات التي يتمّ تناقلها على المنصات التي تستخدمها الناشطات أنفسهن للتأثير في السرديات المتصلة بالحرب.

وعلى الرغم من ارتفاع حصة انستغرام بصفته منصّة لنشر المحتوى من قبل المشاركات، فإن حصّة هذه المنصة لجهة الثقة بالمضمون الذي يتم نشره عليها ينخفض إلى 9 من أصل 25، حيث أنّ معظمهن أشرْن إلى أنه ليس مصدراً بحد ذاته إنما واحد من المصادر التي يستخدمْنها لجمع المعلومات، وأنهن يلجأن إلى التحقق من المصداقية بكل الأحوال عند الاطلاع على منشور عبر انستاغرام. بالمقابل استبعدت المشاركات الـ 16 الأخريات انستغرام من مصادرها بالكامل.

وحظيت منصة إكس بنسبة ثقة بها كمصدر مواز لنسبة استخدامها للنشر بين مجموع المشاركات، حيث عبّرت 11 مشاركة أنها تعتبر منصة اكس مصدراً للأخبار خلال الحرب. اللافت هنا أن معظم اللواتي ذكرن المنصة كجهة موثوقة للأخبار هن من بين اللواتي يستخدمْن منصّات أخرى للنشر، بينما 4 ناشطات من أصل 11 على منصّة إكس اعتبرْن أن هذه المنصة هي مصدر للمعلومة بشكل اساسي، بالمقابل 7 من أصل 11 استبعدن المنصة بالكامل من دائرة الثقة بها كمصدر للمعلومات بالنسبة لأخبار الحرب.

أمّا واتساب، فهي المنصّة الوحيدة التي سجّلت ثقة بها كمصدر معلومات خلال الحرب أعلى من نسبة استخدامها مساحة للنشر، وقد أوضحت المشاركات أن مجموعات واتساب التي تنقل أخبارًا كانت مصدراً أولياً مهمًّا وسريعًا، لربّما يحتاج إلى المزيد من الدقة، لكنه بالنسبة لمعرفة ما يحصل في القرى والمناطق التي بات الوصول إليها خطيراً، فهو المصدر الأكثر أصالة لتناقل فيديوهات مصوّرة من قبل الأشخاص المتواجدين في تلك المناطق. وقد عبّرت العديد من الصحافيات أيضًا عن أهمية مجموعات واتساب الّتي جمعت أعداداً كبيرة من الصحافيين والصحافيات لتكون مصدراً للأخبار الموثوقة وللتأكد من صحّتها في آن.

ومن بين المنصّات التي حظيت باهتمام المشاركات أيضاً منصة تلغرام، ومع العلم إن أياً من المشاركات لم تنشئ قناة على هذه المنصة لنشر المضمون الذي ينتجه، فإن 7 من بين المشاركات الـ 25 ذكرْنها ضمن مصادرهنّ.

السردية بوصفها أداة لإنتاج "خيال سياسي" بديل. وتوضح كيف أن ممارسات يومية بسيطة كـ"لعب الأطفال في الأراضي الخاصة" يمكن أن يبنى حوْلها سردية تُعارض المفاهيم المهيمنة عن قدسية الملكية الخاصة

هذا فضلًا عن نشرات الأخبار الّتي لا تزال تحظى بمتابعة عدد من المشاركات باعتبارها مصدراً يمكن الوثوق به، وقد تبنّته 10 من أصل 25. بالمقابل عبرت العديد من المشاركات إنه في ظل خدمات الخبر السريع والنقل المباشر للأحداث خلال الحرب لم تعد نشرات الأخبار ذات أهمية. "كان اللايف هو الذي يحدد، لم يكن من داعٍ لمتابعة نشرات الأخبار". وتوزّعت إجابات المشاركات بين وسائل الإعلام التقليدية الأخرى بين الصحف المحلية (10 مشاركات)، محللين سياسيين (6 مشاركات)،وصحف أجنبية (10 مشاركات). وقد أضافت المشاركات، لاسيما بعض الصحافيات وكالات الأنباء (AFP و رويترز) بصفتها المصدر الأساسي لمعلوماتهن: "وكالات

الأنباء أكثر دقة وأقل تحليلًا... فالأخطاء أقل ويتم تصحيحها". وقد شدّدت بعض المشاركات على أن متابعتهن للصحافة الأجنبية كانت بهدف متابعة السردية المضادة، كما تضمّن متابعة للصحافة الإسرائيلية: "الصحافة الأجنبية يعني فقط العدو... اعرف عدوك."

ومن خارج المصادر المقترحة، برز المراسلون وصنّاع المحتوى المتواجدون في الميدان بصفتهم المصدر الأعلى مصداقية: "لقد تخلّينا عن معتقد أن الرأي العام هو متلقٍ فقط". وأشارت عدد من المشاركات إلى مصادرٍ خاصة مبنية على علاقات شخصية موثوقة لنقل الأخبار من الأرض لحظة حدوثها، ولا تعتمد هذه الصيغة على أشخاص محددين، إنما على شبكات واسعة من العلاقات الاجتماعية التي تبنتها المشاركات، ومعاييرهن في تحديد الأشخاص الموثوقين المتواجدين في مناطق مختلفة وضمن ظروف وتوجهات فكرية غير متطابقة. أيضاً اعتمدت مسؤولات التحرير والصحافيات في المؤسسات الصحافية التي يعملن فيها على "مراسلين ميدانيين" ليسوا من ضمن فريق العمل بالأساس لكنهم بادروا لنقل الأحداث من موقع حدوثها. كما عبّرت العديد من المشاركات عن ثقتهن بالمعلومات التي ينشرها "صناع محتوى" غزّاويين ولبنانيين، بحيث يظهر "صانع المحتوى" كمصدر موثوق بالنسبة لصانعي الخبر، أكثر من وسائل الإعلام التقليدية التي تقارب الأحداث من زاوية اصطفافها السياسي: "منصات التواصل الاجتماعي هي للخبر العاجل... أمّا المنصات الإعلامية البديلة وصناع المحتوى فهم الأكثر صدقاً."

وقد أشارت العديد من المشاركات إلى منصات محددة تعتبرها مصدراً موثوقاً، لا سيما المنصات اللبنانية المستقلة (ميغافون، مناطق، درج، موقع بنت جبيل)، كما أشارت بعض المشاركات إلى استخدام خاصية الإشعارات على منصة اكس لتلقي الأخبار فور نشرها عبر قنوات مثل الميادين والجزيرة، أو من خلال الاشتراكات في صحف عالمية.

وتندرج أيضاً ضمن المصادر التي تستخدمها المشاركات مراكز أبحاث، التحليلات التي ينشرها محللون يحوزون ثقة المشاركة، تقارير محلية ودولية صادرة عن جهات رسمية حكومية وغير حكومية، مثل وزارة الصحة في لبنان.

وفي سياق متابعة أخبار الحرب على لبنان، يستخلص اعتماد المشاركات على طيف واسع من المصادر، وهو ما يتوافق في الممارسة مع التعريفات التفصيلية المقترحة من قبلهن لتعريف السردية. أيضاً يعكس هذا الطيف أن مواقع التواصل الاجتماعي وسرعة انتشار الخبر ترافق مع ازدياد الحاجة إلى التحقق والتأكد من التقاطعات. بالمقابل برزت التغطية المباشرة من الميدان عبر صناع المحتوى كأحد أكثر المصادر ثقة، لما توفره من اتصال مباشر مع الأحداث ومعلومات دقيقة تبعاً لخبرة صانع المحتوى ومعرفته بالمنطقة التي يتواجد فيها. وتبقى الوكالات الدولية مثل رويترز وAFP مصدراً دقيقاً نسبياً للمعلومات الخالية من التفسير والتحليل، ما أتاح استخدامها كأساس للتحقق.

القلق من المعلومات والأخبار الزائفة كان بارزاً في مداخلات المشتركات اللواتي عبّرن أن :" في الوضع الحالي لا يجب أن نثق بخبر 100% من دون تعريضه لعين ناقدة." تقول إحدى المشاركات. وتشير أخرى: "كنت (خلال الحرب) أشعر أن كل خبر ومعلومة يحتاج إلى التدقيق مرتين".

وتعقيباً على المسألة المتصلة بالمصدر الموثوق والسردية التي تستحق التبني، تُرك للمشاركات في نهاية الاستبيان أن تروي كل واحدة قصة عن حرب لم تعشها، ثم سُئلت "أين سمعتِ/عرفتِ بهذه القصّة"، ليخبرْن عن المصادر التي شكّلت موضع ثقة بالنسبة لهْن والتي اعتمدْن عليها في فهمهْن لحروب مختلفة والسرديات المتصلة بها، إذ قمن باختيار تلك المصادر بحرّية ومن دون أي تدخّل يحد من خياراتهن، ما يعبّر عن مقاربتهن الفردية لمعنى السرد الذي يختزل جزءًا أو كُلًّا من نزاع محدد.

وتنوّعت هذه المصادر بين الشخصية المباشرة، والقراءة الذاتية، والروايات الشفهية، و الإعلام التقليدي، ووسائل التواصل الاجتماعي، والإنتاج الثقافي والفني. فقد اعتمدت بعض المشاركات

على روايات من الأسرة، مثل الأم، الجد، الجدة، وأفراد من العائلة، إضافة إلى قصص من محيط مراسل صحفي، أو عن مراسلين آخرين، وناشطين وأصدقاء داعمين للقضية الفلسطينية أو معارضين في سوريا. وفي المصادر الشخصية، أوضحت المشاركات عنصرين يجعلان هؤلاء الأشخاص مصدراً للقصة: إنّ المصدر عايَش الحدث مباشرة ولم يتناقلْه، وإنّ الشخص يتمتع بمصداقية بالنسبة للمُشارِكة. وهذان العنصران يجعلان من هذه المصادر متشابهة مع المراسلين الميدانيين في الحرب على لبنان.

وشكّلت الروايات الشفهية والتواتر الاجتماعي مصدرًا لا يُستهان به، حيث أشارت عدد من المشاركات إلى دور القصص المتناقلة من شهود عيان أو من كبار السن، ونقاشات سياسية دارت في دوائر وأوساط مقرّبة حول هوية الجُناة، كما في حالة مجزرة صبرا وشاتيلا، أو حول طبيعة الحرب بصفتها حربًا بالوكالة.

في المقابل، لجأت مشاركات أخريات إلى قراءة كتب التاريخ التي شكّلت جزءًا من تجربتهن الشخصية أو الأكاديمية، فتحدثْن عن قراءات خاصة لفترات زمنية محددة، منها ما ارتبط بحبهن لحقبة الستينات، أو تأثرهن بكتب مثل مؤلفات أمين معلوف، أو متابعة وثائقيات تاريخية تغطي حقبات مختلفة لفهم أوسع للسياق السياسي في المنطقة. وقد شددن على أن الرواية لم تكن ثابتة، بل تطورت مع الوقت والبحث والتجربة، ومع امتلاك وعيٍ نقدي تجاه تعدد السرديات وإمكانية التعديل في الرواية الفردية مع تعمّق المعرفة. وتتقاطع هذه المصادر مع ممارسة البحث كأداة للتدقيق بمعلومات ولتأويل الأحداث وتحليلها لإنتاج سرديات. كما تتقاطع مع فهم السرديات في سياق قائم على عناصر عديدة من بينها تكامل القصص مع المعلومات التي تضعها في سياقها السياسي أو التاريخي.

أما وسائل التواصل الاجتماعي، فكانت بدورها مصدرًا مهمًا بالنسبة لبعض المشاركات، من خلال متابعة صور وفيديوهات منشورة عبر إنستغرام عن القصف الروسي في الحرب على أوكرانية مثلاً. كما ظهرت مصادر ثقافية وفنية، مثل عرض مسرحي حضرته إحدى المشاركات في برلين عن نساء أوكرانيات، تناول العنف الجنسي، ودور أوروبا، مما شكّل مدخلًا إنسانيًا وفنيًا لمقاربة موضوع الحرب.

5
قصص من حروب لم نعشْها

اختارت المشاركات قصصاً من ذاكرتها بحرية كاملة، من خارج أي معايير باستثناء أن تكون هي لم تعش ظروف الحرب التي تخبر قصّة عنها بصورة مباشرة وأن لا يكون لها قصة شخصية في سياقها. وقد برزت القصص التي اختارتها المشاركات متقاطعة مع تعريفاتهن للسرديات، لجهة اختيار سرد قصة لفرد أو عائلة مركّزة على أثر الوضع الإنساني الذي تعبّر عن هذه القصة. بالمقابل ذهبت غيرهن لسرد قصة هذه الحرب من باب التأطير السياسي وصناعة الموقف. واستعادت مشاركات أثر الحرب في النساء، لتكون القصة الأولى التي يمكن أن تخبرها عن حرب ما. وبرزت في قصص أخرى ثقل المعضلة المتصلة بالوصول إلى المعلومة والتعمق والبحث والتعامل مع السردية على أنها مجال للإضافات المستمرة، والتأويلات المختلفة.

مجزرة إهدن ومجزرة قانا، قصص معتقل الخيام - لبنان

"مجزرة إهدن تتضمن أحداثًا تعاطفت معها كثيراً، وقد أثّرت في وجداني كثيراً،إنّ حجم الإجرام والأذية والمعايير غير الواضحة يستحيل أن تجيب على كيفية بناء وطن بهذه الطريقة. أمّا معتقل الخيام فيختصر أدوات ووسائل تعذيب إجرامية وبدأت أتعرّف على هذا المعتقل عندما أعتُقلت سهى بشارة. "

هجوم شكا – الحرب الأهلية - لبنان

"هذه القصة يخبرني إيّاها جدي وتبقى عالقة في رأسي. جيش لبنان العربي وبعض الفصائل الفلسطينية قاموا بهجوم شكا. كان جدي يسكن في مبنى سكّانه من جميع الطوائف. وبعد عدة أيام على بدء الهجوم، دخلت الكتائب إلى بيت إحدى الجارات وكانت من

الطائفة السنّية واعتقدت خطأً أن العسكر هم من الفلسطينيين وأرشدتهم إلى منزل جدّي وهو من الطائفة المارونية. وبعدما تبيّن أن الذين دخلوا هم في الواقع من حزب الكتائب اللبنانية، عادوا وقتلوها."

تل الزعتر – الحرب اللبنانية

"تل الزعتر كانت من القصص التي غيرت طريقة تفكيري. تربيت في بيئة يمينية، وعندما شاهدت السردية الأخرى عن تل الزعتر، تحطّمت القصص التي نشأت عليها، وبدأت أرى كيف كانت بيئتي منخرطة في عمليات القتل والتطهير خلال الحرب. الكتائب والجيش اللبناني مارسا جميع أنواع الترهيب والقتل والحصار على تلك المنطقة، حيث عانى الناس من الجوع والعطش لدرجة أن البعض شربوا بولهم."

قصة امرأة مع أولادها الأربعة – الحرب اللبنانية

"امرأة كانت تتناول الغداء مع أطفالها الأربعة في مطعم على الكورنيش في منطقة الروشة في بيروت. بدأ القنص في تلك اللحظة، فخافت وأخذت أولادها وسارعت بالهرب،حيث وضعتهم في السيارة وأسرعت تاركةً المكان.،وبعد لحظات قليلة، سقطت قذيفة في مكان السيارة."

الحرب الأهلية اللبنانية

"القوّات اللبنانية خطفت جدّي على أحد حواجز الميليشيات، وجدّتي هربت بالسيّارة لتصل بأقصى سرعة وتخبر عن المكان الذي خُطف فيه. خالي كان مع المرابطين فقام بخطف شخص من القوّات للتبادل وإخراج جدّي. في الواقع الشخص الذي أنقذ جدي كان زبونه، يطبع عند جدي في مطبعته. هذه المعرفة أنقذته من أن يُقتل في نفس اللحظة. أما جدي من جهة أبي، والذي كان مسلماً وجدّتي مسيحية، وكان كلّما اضطرا للمرور في نقاط تفتيش، كانا يفترقان كلٌ حسب طائفته. أيضاً هناك قصّة سفرنا إلى البرازيل عام 1988، وسبب إرسالنا هو قصف باص مدرسة في منطقة الأونيسكو في بيروت، كان فيها أطفال، ماتوا. من بعد هذه الحادثة أقفلت المدارس، وأرسلونا لنعيش مع أقارب لنا في البرازيل. أيضاً هناك قصة أود أن أتقصّى حولها أكثر، خال أبي توفي خلال تواجده في مبنى في منطقة كورنيش المزرعة في بيروت، ولكن هناك قصّة مفادها أن شخصًا من عائلة متموّلة فجّرها لأنه يريد الأرض ويرغب بإخراج سكّانها خلافاً لإرادته، وادّعى أن السبب هو قذيفة في الحرب."

الحرب الأهلية اللبنانية - الاجتياح الإسرائيلي عام 1982

"الحرب الأهلية اللبنانية لم تكن فقط عن الفلسطينيين، بل كانت لها جوانب طائفية داخلية. كان العامل الفلسطيني جزءًا منها. الاجتياح الإسرائيلي كان جزءًا من مشروع احتلال لبنان وليس فقط طرد منظمة التحرير، وقد ارتُكبت مجازر في بيروت وفي الجبل."

الحرب الأهلية اللبنانية - الجرائم البشعة

"هناك قصص علقت في ذهني عن كيفية قيام بعض الميليشيات برمي الناس من الجسور ورميهم بالرصاص وتعليق أثقال في أرجلهم ورميهم في البحر. صودف أنني أعرف هذه القصص من جهات مسيحية لأنها البيئة التي كبرت فيها. لكن قصصاً مشابهة كانت تحصل في كل المناطق ومن قبل مختلف الجهات المتقاتلة. هذه الصور التي يخبر عنها الكبار في السن، هي التي تختصر بشاعة الحرب الأهلية."

الحرب الأهلية - البعد الطائفي

"أمي تخبرني هذه القصّة. عندما كنت طفلة رضيعة، كانت ميليشيا معيّنة تقوم بقتل الشيعة على أحد الحواجز. وتقول إنّ صف السيارات كان طويلًا جدًّا، حيث كان يتمّ إنزال الأشخاص الشيعة وإجبارهم على الوقوف أمام الحائط حيث يتم إعدامهم بالرصاص. تقول أمي إنني بدأت أبكي بصوت مرتفع جدًّا أريد الرضاعة. أزعج بكائي الشديد الشخص الموجود على الحاجز وطلب من باقي رفاقه أن يسمح لنا بالمرور سريعاً. أمي تقول إنني أنقذتهم."

صبرا وشاتيلا

"كنت في بداية مراهقتي خلال حرب صبرا وشاتيلا. عشتها ولم أعشها في نفس الوقت، بمعنى إنني لم أذهب لتغطيتها ولم تكن هناك وسائل التواصل الاجتماعي بعد، وعندما أصبح إيلي حبيقة وزيرًا، وقبل اغتياله، كنت أكرر القول إنه من ارتكب مجزرة صبرا وشاتيلا، بينما كان هو ينفي ذلك. ككل قصص الحرب الأهلية، لم نُمعن البحث فيها بشكل كافٍ بعد. ذلك الزمن مضى، وشهوده والأدلة المرتبطة به مرّ عليها وقت طويل. في الحقيقة، لا نعرف من هو القاتل. بالنسبة لي، كان للاحتلال الإسرائيلي دور كبير. في ذلك الوقت، كانت الأخبار هي المصدر الأساسي. وبعد سنوات، صار لديّ وصول إلى صحافيين. أما الآن، فقد أصبح من الصعب إقناع الناس بأي سردية بسبب الإغراق بالصور والمعلومات. من الصعب جدًا تركيب رواية متكاملة، لأننا دائمًا نواجه من يردّ علينا بشيء، حتى بالصورة والصوت. وأشعر اليوم أنّ المشكلة أكبر، إذ إنّ تدفّق الصور والفيديوهات أفقد الصورة والحكاية نفسها قيمتهما، وأصبحت أعمارها محدودة."

صبرا وشاتيلا

"كلنا نعرف عن مجزرة صبرا وشاتيلا. أنا ألتقي بالوفد الإيطالي والأمريكي والأوروبي مع قاسم عينا،حيث يأتي سنوياً في ذكرى صبرا وشاتيلا إلى لبنان. ولكنّني عندما شاهدت وثائقي حرب لبنان الذي أنتجته الجزيرة، ووصلوا إلى حلقة تحكي قصّة امرأة فلسطينية تعرّضت للإغتصاب. هذه كانت نقطة تحوّل تجاه الجهة التي ارتكبت المجزرة ورغبتي بالتسامح (إلى حدٍّ ما) في مكان، وبعد هذه الحلقة التي سمعت فيها الفتاة وهي تتكلّم، وكانت تحكي تفاصيل الغتصاب والعنف الجنسي الذي تعرّضت له، وعندما جاء تاكسي لينقلها إلى مستشفى في طرابلس للعلاج، وعندما استحصلت على موافقة من قبل دولة ما لتسافر إليها، وعادت إلى منزلها قبل السفر، كيف عاودوا اغتصابها. عندما عاودْت حضور هذا الوثائقي مجدداً، صارت صبرا وشاتيلا مرتبطة بهذه القصة، وكأنها اختزلت كل الضحايا. ربما خطأ هذا الإختزال، لكن هذه القصة بالنسبة لي اختزلت الموضوع كلّه. ربّما لأنّ سردية الحرب الأهلية تغيّب النساء، فلا أحد يقول ماذا فعلت النساء، ولا أحد يسأل عن دورهن، فقط نعرف القليل عن دور النساء وبالكاد نعرف بعض المقاتلات في الأحزاب اليمينية واليسارية، لكن الجزء الأكبر منه مغيّب لا سيّما لجهة العنف الجنسي. فجاءت هذه القصة لتختزل الكثير. "

الاجتياح الإسرائيلي 1982

"ولدت خلال الاجتياح الإسرائيلي عام 1982. أمي كانت تخبر كيف تمّ نقلي مباشرةً من المستشفى إلى الملجأ. أضحك أحياناً، لأنني عندما ولدت كان أهلي مشغولين طيلة الوقت بالتفكير بإمكانيّة الهروب بي إلى الجبل. ولدت، طفلة لم تحضّر لها غرفتها ولا أيّ أمر آخر يشبه الاحتفال بقدوم الأطفال. هذا الوضع على سوئه كان امتيازاً وقتها. أنا (أخد ع خاطري) - استأت لأنهم لم يوزّعوا حلوى المغلي عندما ولدت فكلّ ما شغل أهلي حينها هو أن يتمكّنوا من عبور الحواجز الاسرائيلية للوصول إلى البقاع. تخبرني أمي إنّها على أحد الحواجز الإسرائيلية، خلعت كلّ الذهب الذي تلبسه في يديها، ووضعته بين يديْ الجندي الاسرائيلي لتتمكن من عبور الحاجز. أنا بالنسبة لي، مفهوم طفولتي هو أنني طفلة بلا غرفة، ليس لدي مكان أرتبط به، لأنني منذ أن ولدت وأنا في حالة تنقّل. "

حرب سوريا

"أعرف العديد من القصص من أصدقائي السوريين حول كيفية هروبهم من المعتقلات وتهريبهم إلى لبنان، وأساليب التعذيب التي مروا بها. منذ ذلك الحين، أبغض النظام السوري السّابق، وكنت أتجادل مع أمي حول دخول حزب الله إلى سوريا. كنت أعتقد أنّ من يتحمل مسؤولية هذه المشكلة هو النظام الذي كان يُبيد شعبه ويجب أن يُحاسب. كنت مع الثورة السورية، وتمنيت أن تنجح. "

حرب تموز 2006

"كنت في بلجيكا حينها. كانت الحرب مؤثرة جدًا لأنني كنت بعيدًا عن بلدي. القصف الإسرائيلي طال عددًا من المناطق اللبنانية، ممّا دمّر البنى التحتية في لبنان وأدّى إلى تهجير العديد من الناس إلى مناطق لبنانية أخرى كانت آمنة."

حرب غزة

"قصة هذه الحرب هي خطأ ارتكبته حركة حماس بهجوم دفع ثمنه الشعب الفلسطيني من دون أن يحقق أيّ تقدّم. الخطأ الجسيم الذي ارتُكب هو أن المدنيين والنساء والأطفال الاسرائيليين كان يجب تركهم فوراً من قبل حركة حماس. على الرغم من ذلك، موقفي من حزب الله ودخوله في الحرب أكثر صرامة وليس موازياً لموقفي من حماس الذي يحكمه الواقع الفلسطيني."

حرب غزة

"الشرق الأوسط هو مجال صراعات اقتصادية وتجارية، حيث أصبحت الحروب جزءًا من الاستراتيجيات الاقتصادية منذ الحملات الصليبية. السلطنة العثمانية سقطت بعد الحرب العالمية الأولى، وكان انتصار البريطانيين والفرنسيين على الأتراك. وساهمت القوى الغربية في تقسيم المنطقة وخلق خلايا سرطانية مثل الكيان الإسرائيلي، وهي نتيجة لثقافة أوروبية مناهضة لليهود. وحرب غزة الدّائرة الآن هي حرب أخرى ضمن هذا السياق، وليست قضية معزولة. "

قصة الطفلة الشهيدة هند رجب في غزة

"الطفلة هند رجب حاصرتها قوات الاحتلال في سيارة تحتوي على جثامين أسرتها، ومنعت إسعافها، وفقد الاتصال بها لمدة 12 يومًا. تمّ الكشف لاحقًا عن استشهادها جرّاء مئات الرصاصات التي أطلقها الاحتلال نحوها. العالم سمع استغاثة الطفلة، التي كانت تبلغ من العمر 6 سنوات عبر الهاتف، وعجز عن نجدتها."

لحرب على فلسطين

"من الصور التي لا أستطيع نسيانها هي صورة محمد الدرّة حيث كبرت وفي رأسي إنّ هذا هو نفس الإسرائيلي الذي كان هنا، وأنه على الرغم من أن الإسرائيليين خرجوا من لبنان في العام 2000، إلا إنّ صورة محمد الدرّة بقيت. وفي الحرب الأخيرة، كلّ المشاهد عن القتل والحرق بقيت عالقة في ذهني."

حرب الـ 48

"أناس كان لديهم أرضهم، طردوهم، وقتلوهم، وهجّروهم ونكّلوا بهم. ظلْمٌ لم يتكرّر في التاريخ. لا أعرف اذا كان يصحّ أن أسمّيها حربًا، لأنها لم تكن حربًا أصلاً. كنت أسمع قصصًا لأميّ وجدي عن هذه القضية، فأصول جدّي فلسطينية. فضلًا عن إنّني قرأت عن الموضوع، وتحرّيْت عن وجود الفلسطينيين في لبنان وسمعْت قصص الناس الذين عايشوا هذه المرحلة."

حرب أوكرانيا

"أوكرانيا كانت تسعى للخروج من تحت سيطرة روسيا لتصبح جزءًا من حلف الناتو، مما أدّى إلى صراع على الهويّة بين أن تكون جزءًا من روسيا أو تبني هوية أوكرانية قومية. أرى أنّ هذا جزء من صراع بين روسيا وأميركا."

السودان

"تتعرّض النساء في السودان للاغتصاب، فقد سمعت قصة امرأة تعرّضت للاغتصاب أثناء الحرب بتفاصيلها. هذه القصة هي جزء من واقع مرير يعيشه العديد من النساء في مناطق النزاع."

6

الأثر الذي أحدثته المشاركات في السرديات المتصلة بالحرب

بهدف فهم تطلعات المشاركات المتصلة بإحداث أثرٍ في السرديات المتصلة بالحرب، يتطرق البحث اولاً إلى الرسائل المفتاحية التي ركّزت عليها المشاركات لجهة المحتوى والمضمون الذي أنتجته، ثم إلى تفاعلهنّ مع حاجات بناء السرديات السياسية خلال الحرب، ثم تقصّي تقديراتهن حول الأثر الذي حقّقنْه والمؤشرات التي استخدمْنها لتحديد هذا الأثر.

وتبعاً لعدم تطابق الاتجاهات والقراءات السياسية للمشاركات، فإن الأثر الذي أردناه ينطوي على تفاوتات تبدو قابلة للتذليل نظرياً. فعملياً، لم تظهر مواقع التواصل الاجتماعي في سياق البحث مساحة لتذليل هذه التفاوتات، ولا يمكن الاستنتاج أنها كانت مساحة لتبادل التأثير فيما بينها، أو التأثّر ببعضها البعض. أقلّه أنه لم تتم الإشارة إلى مثل هذا الأمر، باستثناء تسمية بعض المنصات الممثلة في المقابلات باعتبارها مصدراً من قبل بعض المشاركات. بالمقابل، أثارت بعض المشاركات عناوين مقالات نشرت عبر بعض هذه المنصات، بوصفها إقصائية لهنّ.

بعض المشاركات ركّزن على إحداث تبدّل في السردية المهيمنة المتصلة بدور حزب الله، وأردْن طرح رؤية نقدية للسردية الّتي يطرحها حزب الله، من خلال التعبير عن موقف رافض لاحتكار قرار الحرب من قبل جهة سياسية واحدة، والربط بين هذا القرار وبين مصالح إقليمية تتجاوز المصلحة الوطنية. أيضاً تهتم المشاركات في هذا السياق بإبراز مفارقات في شعار المقاومة والتي تسعى إلى الإضاءة على واقع أن حزب الله لا يسعى لتحرير فلسطين. وأيضاً تريد مشاركات أن توصل فكرة أن فتح جبهة الجنوب لم يقدّم دعما فعليا للفلسطينيين بل زاد معاناتهم وأعاد الزّخم لإسرائيل.

بالمقابل، ركّزت مشاركات أخريات على مواجهة التهويل والفرز الطائفين من خلال تفكيك السرديات التي تروّج لفكرة أن "الشيعة" في المناطق التي تعتدي عليها إسرائيل يتحملون المسؤولية عن هذا القصف، والتأكيد على أن الاحتلال الإسرائيلي هو الجهة الوحيدة التي تتحمل المسؤولية عن القتل والدمار، وليس السكان المحليين. وتركّز هذه المشاركات أيضًا على التحذير من استخدام الحرب لتغذية الانقسامات الطائفية بين اللبنانيين. وفي هذا السياق تركّز بعض المشاركات على جرائم الحرب واستهداف الصحافيين والتأكيد على إبراز استهداف الصحافيين كجريمة حرب، وتهديدًا مباشرًا لحق الرأي العام في الوصول إلى الحقيقة. أيضاً تهتم المشاركات في هذا المجال بالتأكيد على أهمية وجود الصحافة المستقلة لتوثيق جرائم الحرب ومواجهة السرديات الرسمية المُضلِّلة وضرورة عدم التعرّض لحق الصحافيين بتغطية مجريات الحرب. على صعيد آخر اتجهت مشاركات لإنتاج خرائط توثيقية تُظهر الأهداف التي ضربتها إسرائيل وأنواع الدمار المختلفة، وتفكيك الادعاءات بأنها أهداف عسكرية ومواجهة الدعاية الإسرائيلية بسردية إنسانية موثقة، تعكس حجم المأساة والمعاناة اليومية.

وفي توجّه ثالث تبرز المقاومة في السياق اللبناني كمسألة اهتمت العديد من المشاركات بالتطرّق لها كمفهوم من أجل الوطن واستعادته كحق للشعب ولكل الشعوب، ولا يقتصر على جهة أو حزب، وأنّ ممارسة هذا الحق بكل الأحوال لا يبرر استهداف المدنيين من قبل إسرائيل، وتجمع شادن فقيه كافة العناوين المتصلة بهذا التوجّه وتحددها كمنطلقات تريد أن توصلها عندما تتحدّث عن الحرب على لبنان: "من الممكن أن نكون ضد الحزب لكنّنا مع مبدأ المقاومة فيكون الاتجاه في النقاش هو تحديد شكل المقاومة التي نريدها، و فكرة أن حزب الله بدأ الحرب ليس مبررًا لما تفعله اسرائيل واذا كان الشخص يكره حزب الله فهذا لا يبرر قبوله للعقاب الجماعي. أيضاً التجريد من الانسانية بمعنى القبول بموت من صوّت لحزب الله فهذه مسألة أريد أن أواجهها وأن أضيء على الأزمة وهي أنه خلال سنة ونصف حرب وإبادة هناك بيننا من ينتقد حزب الله حصراً ولا يتطرّق لإسرائيل. أريد أن أقول

أن شكل المقاومة حالياً سيء لكنّ الديبلوماسية ليست كافية مع هذا الكيان واتّفاق أوسلو تجربة ومثال حيّ على فشل الديبلوماسيّة في استعادة الارض.."

ومن بين التعبيرات عن هذه الرسالة، الدعوة لإعادة تعريف شكل المقاومة بشكل شعبي جامع، يتجاوز النموذج القائم حاليًا.ومن بين الرسائل التي أرادت المشاركات إيصالها هي أهمية التمييز بين مناهضة الاحتلال وبين دعم حزب سياسي معيّن، والفصل بين النقد السياسي والموقف من العدوان.

وذهبت مشاركات إلى إيلاء الأولوية لنشر خطاب سياسي أخلاقي يعتمد على الرابطة الوطنية والقيم الإنسانية انطلاقاً من كون غياب النقاش الوطني حول الحرب، نتائجها، ومآلاتها، أمر كارثي. لاسيما أنه برأيهن، لا يمكن معالجة النتائج دون مراجعة ذاتية جماعية، ولا بد من رفض فرض الصمت على من يتحدث عن الخسائر. ايضاً يتضمن هذا التوجّه دعوة لرؤية الناس من "عين الآخر"، وفهم تعقيدات مواقفهم، كأشخاص لا يدعمون حزب الله ولكنهم مستعدون لحماية بلدهم. بالإضافة إلى رفض التعميمات السياسية والطائفية التي تحوّل المدنيين إلى أهداف مشروعة فقط بسبب انتمائهم أو مكان إقامتهم. أيضاً التشديد على ضرورة الحفاظ على وعي وطني جامع، خاصةً في ظل الانقسام السياسي الحاد والتأكيد أن الحرب تهدّد الجميع، وأن الخلاص إما أن يكون جماعيًّا أو لا يكون.

وحظيَ البعد الجندري بحصة كبيرة في أولويات المشاركات لجهة الرسالة التي يردْن أن يتبناها متابعوهنّ، وقد ركّزت المشاركات في هذا السياق على توثيق الدور القيادي للنساء في الاستجابة الإنسانية، من خلال إدارة مراكز إيواء (113 مركزًا، 30% منها بقيادة نسائية)، والتأكيد على أنّ النساء لسن فقط ضحايا بل أيضًا فاعلات ومبادرات، وتحطيم الصورة النمطية التي تقيّد النساء بأدوار تقليدية. والتركيز على الدور القيادي للنّساء لم يطمس التذكير بأهمية الحماية من العنف والتحرش في حالات الطوارئ، واعتبار "السلامة" أولوية يومية. كما اتّخذت الزاوية الجندرية بعدًا يتّصل برفض الفصل بين النضال النسوي والنضال ضد الاستعمار والتأكيد على أن النسوية ليست قضية "ثانوية" أو "رفاهية"، بل إنّها تموضع سياسي مرتبط بكل القضايا التحرّرية ورفض تهميش النساء خلال الطوارئ، والتشديد على دورهنّ الحيويّ في رسم مستقبل المقاومة والعدالة.

أما لجهة تقديراتهن حول الأثر الذي تمكّنّ من إحداثه فقد اعتبرت 13 مشاركة أن المضمون الذي أنتجْنه كان له أثر على السرديات المتصلة بالحرب الأخيرة على لبنان، فيما أجابت 9 من المشاركات بـ "ربما" عند سؤالهن عن أثر المضمون الذي أنتجْنه ونشرْنه على مواقع التواصل الاجتماعي على السرديات المتصلة بالحرب. أخيراً، فقط 3 مشتركات جزَمن أن ما قمْن بنشره ليس ذا أثر على سرديات الحرب.

من الممكن أن نكون ضد الحزب، لكننا مع مبدأ المقاومة فيكون الاتجاه في النقاش هو تحديد شكل المقاومة التي نريدها. أن يكره شخص حزب الله، لا يبرر قبوله للعقاب الجماعي

لجهة الاستراتيجيات التي اتّبعتها المشاركات لتحقيق تضخيم حجم المحتوى الذي قمْن بنشره، بما يؤدي إلى تكريس الرسالة، ذكرت 10 متابعات أن التعاون مع مؤسسات إعلامية أو منصات يحصل بشكل متكرر، وأفادت 8 مشاركات بأنهن يعتمدن بشكل رئيسي على العمل الفردي أو التعاون المحدود، باستخدام منصات أخرى في أوقات معينة. أما التعاون خلال الحرب أو في سياقات خاصة، فقد تم الإشارة إليه في إجابات 4 مشاركات. يعكس

هـذا التوزيـع تباينًـا في طـرق التعـاون، حيـث تفضـل بعـض المشـاركات العمـل بشـكل فـردي وتعزيـز التواصـل عبـر منصـات محـددة، بينمـا تختـار أخريـات التعـاون مـع مؤسسـات أو جهـات لضمـان نشـر رسـائلهن علـى نطـاق أوسـع. بالتالي، لم تشـكل الحـرب دافعـاً إلـى خلـق مسـاحات تعـاون إلّا في حـدود ضيّقـة تطرقـت لهـا بعـض المشـاركات وكانـت في سـياق العمـل الإغاثـي. كمـا لم يقمـن بـأي نشـاط تنظيمـي عبـر مواقـع التواصـل الاجتماعـي بصـورة مكثّفـة، بـل بقـي هـذا الشـكل مـن التنظيـم الرقمـي محـدودًا جـداً بالنسـبة للمشـاركات في الاسـتطلاع. وتجـدر الإشـارة هنـا إلـى أن عـددا مـن المشـاركات هـن ملتزمـات بالعمـل ضمـن مؤسسـات بحثيـة أو صحفيـة الأمـر الـذي يجعلهـا بالأسـاس جـزءًا مـن مجموعـة وضمـن إطـار مؤسّسـاتي يفسّـر عـدم سـعيها لإنشـاء إطـار آخـر.

وتـأتي ملاحظـة المشـاركات حـول تأثيـر ممارسـتهن الرقميـة علـى السرديـات في حـدود محدوديـة الاسـتراتيجيات المتبعـة لتضخيـم المحتـوى ونشـره لجهـة مـا. وعلـى الرغـم مـن التعبيـر عـن الشـعور بـأن العمـل الجماعـي والتشـبيك، سـواء مـع منظمـات دوليـة كمـا في حالـة نقابـة الصحافـة البديلـة، أو عبـر تضامـن نسـوي ضمـن حلقـات متعـددة كمـا في تجربـة "نقطـة" و"التجمّـع النسـائي الديمقراطـي"، سـاعد في توسـيع مـدى التأثيـر، حـتى في غيـاب أدوات دقيقـة لقياسـه. وهـذا التعـاون أسـهم في بنـاء الثقـة، وإيصـال الرسـائل في الوقـت المناسـب، وتعزيـز فـرص التأثيـر علـى السرديـات العامـة مـن خـلال مسـاحات حـرّة وغيـر خاضعـة للرقابـة، كمـا هـو الحـال في اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتماعـي. بالمقابـل فضّلـت العديـد مـن المشـاركات الأطـر الفرديـة، أو اكتفـت بالتعـاون ضمـن فريقهـا كجـزء مـن مؤسسـة بحثيـة أو إعلاميـة.

وعكسـت بعـض المشـاركات وعيـاً بنسـبية التأثيـر وحـدوده، لاسـيما في ظـل طغيـان المحتـوى الرقمـي وتشـظي التفاعـل عبـر منصـات التواصـل. ومـع ذلـك، ظهـرت شـهادات تؤكّـد أثـر المحتـوى علـى تغييـر في مواقـف أفـراد، أو في مقاومـة السرديـات المهيمنـة، حـتى وإن لـم يكـن الأثـر شـاملاً أو يقـاس بـالأدوات التقليديـة. تشـير منسّـقة نقابـة الصحافـة البديلـة إلسـي مفـرّج أنهـا لمسـت أثـر اسـتخدام مواقـع التواصـل الاجتماعـي لجهـة متابعـة الانتهاكات التـي تقـوم بهـا إسـرائيل ضـد الصحافيين/ات:"أحـد ركائـز نشـاطنا لجهـة حمايـة الصحافيين هـو التشـبيك مـع منظمـات دوليـة. أذكـر(ليلـة حاصبيـا) كنـت أول مـن أعلـن عـن الموضـوع علـى اكس وسـارعت إلـى وسـم(Tag) المقـررة الخاصـة للحريـات لـدى الأمـم المتحـدة إيريـن خـان السـاعة 3:30 فجـراً وقـد قامـت بإعـادة نـشر التغريـدة عنـد الثامنـة صباحـاً مـع توصيـف الاعتـداء أنـه جريمـة حـرب. لكـن حـتى وصلنـا إلـى هـذه المرحلـة كانـت المقـررة الخاصـة تتابـع معنـا طـوال المـدة السـابقة فبنيـت ثقـة بالواقـع."

أريد أن أقول أن شكل المقاومة حالياً سيء لكنّ الديبلوماسية ليست كافية مع هذا الكيان واتّفاق أوسلو تجربة ومثال حيّ على فشل الديبلوماسيّة في استعادة الارض..

من جهتهـا مؤسِسـة موقـع نقطـة-المختبر النسـوي، عليـا عواضـة تلحـظ أثـر المضمـون المنشـور علـى نقطـة مـن خـلال مشـاركة المحتـوى والتفاعـل معـه. تشـير في إجابتهـا عـن الأثـر مـن خـلال مثـال فيديـو آيـة أبـي حيـدر (ورد ذكـره سـابقاً مـن قبـل آيـة أيضـاً) :" فيديـو آيـة تضمّـن 3 أنـواع مـن الرسـائل، موضـوع الأحـوال الشـخصية والإرث في لبنـان، وحجـم الإجـرام الإسـرائيلي وهـدف الإسـرائيلي لإنهـاء أحـلام النـاس ومحـو إرثهـم وذاكرتهـم. مـدّة هـذا الفيديـو دقيقـة ونصـف لا تظهـر فيهـم آيـة حـتى، وقـد وصلـت مشـاهداته إلـى 400 ألـف، والأشـخاص الذيـن أعـادوا نـشره

ضمّنوا منشوراتهم إشارة إلى واحدة أو أكثر من النقـاط الـتي أردنـا لفـت الانتبـاه لهـا"

وتصـف رشـا وزني الأثـر في تجربـة التجمـع النسـائي الديمقراطـي خـلال الحـرب رابطـةً إيّاهـا بهـدف اسـتراتيجي واضـح: "لقـد جـرى التركيـز علـى إبـراز الـدور القيـادي للنسـاء، ضمـن حلقـة أوسـع مـن المنظمـات الـتي شـاركت في تسـليط الضـوء علـى هـذا الجانـب. وقـد سـاهم هـذا الجهـد المشـترك في إعـادة تشـكيل السرديـات التقليديـة حـول دور النسـاء في النزاعـات المسـلحة، وفي خلـق تضامـن مجتمعـي ونسـوي ملحـوظ. وعلـى خـلاف مـا كان سـائداً سـابقاً، لم تعـد النسـاء مجـرّد متلقيـات للسرديـة العامـة، بـل أصبحـن فاعـلات في إنتاجهـا وتوجيههـا. كمـا مكّـن هـذا المسـار مـن رفـع صـوت الفئـات المهمّشـة وتوثيـق الأحـداث مـن داخلهـا. وبفضـل وسـائل التواصـل الاجتماعـي، تمكّـنّ مـن إبـراز أدوار النسـاء القياديـة وتقديـم سرديـة نسـوية بديلـة عـن تلـك الـتي حصـرت النسـاء سـابقاً في أدوار الضحيـة فقـط. لقـد كنّـا هـذه المـرة جزءًا مـن صناعـة السرديـة، لا مجـرّد شـهود عليهـا"

أمّـا بالنسـبة للمشـاركات اللـواتي كـنّ غـير متأكـدات مـن أثـر المضمـون الـذي نشـرنه علـى السرديـات المتصلـة بالحـرب علـى لبنـان، فقـد عبّـرن أن التفاعـل الإيجابـي مـع المضمـون لا يشـكّل برأيهـنّ مؤشّـراً علـى تأثيـر هـذا المحتـوى، بحيـث لا توجـد أداة للتأكـد مـا إذا كان الشـخص الـذي يتفاعـل مؤيـد للفكـرة بالأسـاس أم أنـه تبنّاهـا بسـبب المحتـوى المنشـور. كمـا أن فـورة مواقـع التواصـل الاجتماعـي بحـدّ ذاتهـا تشـكل سـبباً للتشـكيك بالقـدرة علـى قيـاس الأثـر السياسـي بالنسـبة للبعـض، ذلـك إن كلّ فـرد بـات ينـشر رأيـه ويعيـد نـشر آراء الآخريـن، وهـو مـا يجعـل مـن الصعـب فهـم التحـوّلات في الآراء وكيفيـة التأثـير عليهـا في هـذا الفضـاء.

تقـول سـندريلا عـزار في هـذا المجـال: "لا أعلـم مـا إذا كان قيـاس التأثـير تبعـاً للمحتـوى أمـرًا ممكنًـا ودقيقًـا، ولكـن مـا أسـتطيع أن ألاحظـه هـو الأثـر في دائـرتي الاجتماعيـة الصغيـرة والـتي تضمّ أفـرادًا يؤيـدون اليمـين المسـيحي اللبنـاني وشـهدوا علـى مجـزرة شـاركت في ارتكابهـا فصائـل فلسـطينية مسـلحة خـلال الحـرب اللبنانيـة، هـؤلاء اليـوم يسـمّون مـا يحصـل في غـزّة إبـادة (في تعبيـر عـن التعاطـف والرفـض)، جـزء مـن هـذا التغيـر لـه علاقـة بالتّأثّـر بمضمـون محتـواي وجـزء ثـانٍ لـه علاقـة بحجـم الجريمـة".

وبالنسـبة لأمـاني جحـا هـي قامـت بواجبهـا ولم تحـدّد مسـبقاً كيـف تريـد لمحتواهـا أن يؤثّـر: "قمـت بواجبـي في نقـل الخبـر خـلال حـرب دامـت سـنة ونصـف، ورغـم صعوبـة إحـداث تغيـير جـذري، ربمـا أثّـرنا في السرديـات الـتي تبناهـا النـاس. لا أزعـم أنـني أثّـرت وحـدي، فالكثـير مـن الأصـوات كانـت تنقـل القصـص وتسـاهم في بنـاء الوعـي. نقـل الصـورة والحـدث تـرك أثـراً واضحـاً، لكـن عندمـا يتعلـق الأمـر بالقضيـة الكبـرى—حـق الإنسـان في الحيـاة والأرض يبقـى أثرنـا محـدوداً وربمـا غـير محسـوم. مـع ذلـك، يبقـى علينـا واجـب الاسـتمرار في النقـل والتوثيـق. اليـوم، أصبحـت وسـائل التواصـل الاجتماعـي هـي المصـدر الحقيقـي للخبـر. وبخـلاف الإعـلام التقليـدي المقيـد بالقوانين، تتيـح السوشـيل ميديـا نقـل الحقيقـة دون رقابـة، ولولاهـا لمـا عرفنـا مـا يجـري فعلاً في غـزة".

وتقـول حيـاة الحريـري: "وجّهـت جهـدي الإعلامـي نحـو المسـاهمة في بنـاء سرديـة متعـدّدة الزوايـا، مـع محاولـة التأثـير عـبر محاولـة إنشـاء مجموعـات ضاغطـة ، رغـم محدوديـة الإمكانيـات الفرديـة وغيـاب أي دعـم حـزبي أو مؤسّسـاتي. ورغـم التحديـات المرتبطـة بالاصطفافـات السياسـية في لبنـان، بـرز تأثـير ملمـوس في المحيـط القريـب، خصوصـاً أن بعـض المتابعـين الحزبيـين الذيـن عبّـروا عـن تقديرهـم لطـرح الآراء الـتي لا تسـتطيع الجهـات الحزبيـة التعبـير عنهـا. هـذا الهامـش مـن الحريـة الشـخصية أتـاح نقـل رسـائل يصعـب إيصالهـا مـن داخـل الأطـر السياسـية التقليديـة، مـا سـاعد علـى تحريـك النقـاش حـول قضايـا قـد لا تكـون مطروحـة علنـاً".

وقـد ميّـزت بعـض المشـاركات بـين التأثـير علـى الأفـراد وسرديـاتهم حـول هـذه الحـرب والتأثـير علـى السرديـة العامـة، تقـول راشـيل كـرم مـن هـذه الجهـة: "كان للمضمـون الـذي نشـرته أثّـر كثـيراً علـى سرديـة الأفـراد بالطبـع وليـس علـى السرديـة العامـة، فعلـى مسـتوى السرديـة

العامة أرى الموضوع تراكميًّا، الأثر الذي يصيب سرديات الأفراد يعرقل إمكانية فرض سردية معينة (عبر الهيمنة)".

أخيراً، ربطت المشاركات اللواتي يعتبرن أن ما نشرنه لم يؤثّر على متابعيهن بكون هذا المضمون "عبارة عن محتوى عاطفي وليس سياسي"، أو بسبب كون المضمون يهدف إلى نشر معلومات وليس إحداث أثر. تقول منار زعيتر في هذا السياق "أردْت من المحتوى الذي نشرته أن أقول إننا جزء من الآليات الدولية التي تستمر إسرائيل بتخطّيها وخرقها"

الخاتمة

بدأت في لبنان ملامح الانتقال نحو النشاطية الرقمية وإيلاء هذه المساحة اهتماماً أوسع منذ حراك النفايات عام 2015، بعد أن اكتسب الحراك إسم حملة "طلعت ريحتكن" التي أطلقت عبر منصّة فايسبوك. وعلى الرغم من أن الحراك جاء في سياق من التظاهرات الواقعية والكبرى، لا سيما تظاهرات حركة التنسيق النقابية التي استعادت مشهداً وديناميةً سياسية كانت قد غابت عن الواقع اللبناني منذ الحرب الأهلية، لجهة كونها حراكًا مندفعًا بمطالب إقتصادية واجتماعية تعبّر عن قضايا وطنية بقيادة نقابية. هذا السياق وما أنتجه في الشارع حتى عام 2015 عندما تفاقمت أزمته الداخلية، واصطدم مع أدوات السلطة لتفريغ قدرته على الضغط لتحصيل حقوق الأساتذة، كان لا بدّ أن يعود بتشكّلات مختلفة في الشارع. بهذا المعنى كان الشارع اللبناني والحراك الاجتماعي متواصلًا عندما انطلقت حملة طلعة ريحتكن الكترونياً. فقد سهّلت منصات التواصل الاجتماعي في تلك اللحظة إنتشار(exposure) المنطلق الجديد (أزمة النفايات) للحراك الذي حمل المطالب الاقتصادية والاجتماعية نفسها في سياقه وبغض النظر عن المنطلقات التي طرحتها الحملة على صفحتها الإلكترونية. وخلال مرحلة أولى من حراك النفايات، تحوّلت صفحة إلكترونية لتكون القيادة الفعلية لهذا الحراك، وما لبث أن انتبه المحرّكون السياسيون والناشطون في المناطق لا سيما المعنيين بالشأن البلدي إلى إمكانية تولّي القيادة وتحقيق انتشار لموقفهم من

خلال إطلاق صفحات إلكترونية تحمل عناوين تحتمل أن تُرفع كشعار في سياق غير إلكتروني، وربّما يكون عابراً حتى، لكنّ استخدام الوسم الإلكتروني وإطلاق المجموعات والصفحات عبر منصة فايسبوك بصورة خاصة في تلك المرحلة، رسمت خارطة لحراك عابر للمناطق و"خطوط التماس".وما لبثت هذه الحالة أن تحوّلت إلى التشرذم، والتصارع بين حملات الكترونية مختلفة وبين أفراد وجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها قادةً في حاراك شعبي واقعي. من بين هؤولاء (القادة) الجدد، انخرط عدد كبير في استحقاقات سياسية مثل الانتخابات النيابية عام 2018 وحراك سد بسري في منطقة الشوف، حيث استخدموا منصات التواصل الاجتماعي للإعلان عن رؤيتهم، وبرنامجهم، لحشد الجماهير، واستخدموا منصّات مثل واتساب لتنظيم العمل والتواصل المستمر بين أعضاء حملات انتخابية أو مجموعات سياسية ناشئة تطمح لتأسيس هيكليات سياسية حزبية. هذه المجموعات تحوّلت إلى نوع من الاجتماع الحزبي المفتوح، الذي يسمح باتّخاذ قرارات ومبادرات في أيّ لحظة. وفي هذا السياق، تداعى أفراد من مجموعات مختلفة للتّجمع اعتراضاً على قرار وزير الاتصالات عام 2019 لفرض ضريبة على واتساب. وعلى الرغم من أن قرار الوزير وردّة الفعل عليه، جاءت في سياق توقّف البنوك عن دفع الودائع لأصحابها بالدولار الأمريكي، فان الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق انتشار يستدرج حراكًا في الشارع ارتبط بضريبة الواتساب وهو ما خدم المصارف والسلطة لتحوير السردية حول الحراك وتصويره على أنه قد تسبّب بأزمة مالية في الدولة. بالتالي، فإن آلية الانتشار هذه كانت للمرة الثانية، تعدّل في السردية المتصلة بالحراك السياسي، وتنجح خلافاً لرغبة الناشطين في طمس الوقائع السابقة عليها، وإبراز موضوع الحدث الذي حصل على الانتشار وكأنه منفصل عن أي سياق، وأنّه محفّز اجتماعي وسياسي بحد ذاته. أما التغيّر الأبرز بالنسبة لحراك 2019، كان الغياب التام للقيادات الفعلية الواضحة، وحضور الصفحات الإلكترونية تحت أسماء المجموعات السياسية، كقيادات تملك السلطة لتحريك الشارع. هذا الأمر نجح لفترة محدودة، وما لبث أن فشل متخفّياً بجائحة كورونا وحظر التجوّل. في هذه المرحلة كانت المنصّات المستخدمة قد أصبحت أكثر تنوّعاً، وحاز تيكتوك على اهتمام واسع في لبنان خلال حظر التجوّل. فمنصّات مثل تيكتوك وإنستاغرام تعزّزان الحضور الشخصي للفرد، الأمر الذي شكّل التقاطع الأنسب للأفراد للتعبير عن مواقفهم ومقارباتهم الفردية من دون الحاجة الى الانخراط مجدداً في الأشكال التنظيمية التي كانت تتبلور خلال السنوات الأخيرة.

مع انطلاق الحرب الإسرائيلية على غزّة ولبنان في أوكتوبر 7 و8 عام 2023، شكّل حضور الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعي وتفاعلهم مع الأحداث وتحليلهم لها، ونشرهم لمحتوى من إنتاجهم أو إعادة نشرهم لمحتوى آخر تعزيزاً لانتشاره، مفتاحاً لإحداث تحوّل في السرديات المتّصلة بهذه الحرب. فيما كان دور الأحزاب والمنظّمات الصّاعدة شبه غائب. وكما شكّل غياب القيادة الفعلية لحراك 2019 مساحة لكسر سطوة أساليب القيادة الذكورية الظاهرة، وتسهيل حضور النساء والفئات المهمشة وطرح خطابهن/م كجزء أساسي من رؤى الحراك، فإن الفردانية التي تتيحها منصات التواصل الاجتماعي أتاحت أيضاً مساحة للنساء لإبراز مواقفهن السياسية تجاه هذه الحرب، وللعمل على تعديل الفكرة المتّصلة بدور النساء وموقعهن من النزاعات المسلّحة.

على امتداد هذه المرحلة، وعلى الرغم من تركيز جزء كبير من فعالياتها في المساحات الرقمية، لم يتم تبنّي النشاطية الرقمية باعتبارها متمايزة عن النشاط السياسي بمعناه التقليدي في السياق اللّبناني، وقد تمت مقاربتها كامتداد عادي للتنظيم السياسي. في الحرب الأخيرة على غزّة ولبنان، وقد تحوّل هذا الامتداد الذي بدا عادياً إلى تساؤل حول ضرورة الوصول الى فهم جذري وتحديد حضور الأفراد وآليات استخدام هذه المواقع واحتمال انكشاف الأشخاص وتعرّضهم لخطر الاستهداف العسكري تبعاً لاستخدامات التكنولوجية الرقمية. بالمقابل، كان لمواقع التواصل

الاجتماعي دوراً محورياً في خلق مواجهة بين السردية الإسرائيلية والسردية الفلسطينية لأوّل مرة في تاريخ احتلال فلسطين. أما في لبنان، فبرزت مواقع التواصل الاجتماعي كأنها ساحة متاحة لأطراف الداخل اللبناني للتنازع فيها بدلاً من الواقع، أمّا على الصعيد الدولي، فإن أي أثر لهذه الفعاليات الرقمية بقي في حدود الاهتمام به من الأطراف الخارجية أكثر. وبالتالي فإن حركة إحداث أثر في سردية مهيمنة كانت لبنانية لبنانية، أكثر ممّا هي مواجهة لبنانية إسرائيلية أمام الرأي العام الدولي.

لبنان الذي يُعرف بافتقاره لوجود سردية موحّدة حول تاريخه اللّاحق للاستقلال، لاسيما مرحلة الحرب الأهلية، شهد حرب سرديات واقعية وإلكترونية تجاه الحرب مع إسرائيل. وفي سياق هذا البحث، افإنّ الناشطات اللواتي عرّفْن عن أنفسهن "ناشطات سياسيات"، اعتبرن أنّ وسائل التواصل الاجتماعي هي إحدى الأدوات التي تخدم استراتيجياتهن السياسية، من دون أن يحوّلهن هذا الإستخدام إلى ناشطات رقميات. أيضاً اعتبَرن أن "الفردية" لا تتعارض مع "النشاط السياسي"، إنما يمكن أن تتطابق معه أحيانا. في الواقع إنّ تصاعد النشاط الفردي يتّصل عضويًّا بصعود مواقع التواصل الاجتماعي، ما ينبئ أن النّشاط الرّقمي بات في صلب النشاط السياسي ويتمّ التّعبير عن نموذجه باعتباره نموذجاً آخر عاديًا للنشاط السياسي في الحيّز الواقعي، الأمر الذي يحتمل الإشارة إليه كتعديل جذري في مفهوم الفعل السياسي واتّصاله الأصيل بالعمل الجماعي والتعبير عن قوى اجتماعية. المقلق في إعادة التعريف هذه، أنها تبرز في طيّات التعبير عن معاني النشاطية السياسية، من دون إشارة واضحة (تؤكد الوعي) إلى أنّ تفاصيل المقاربة المقترحة تجد أسسها في عصر التواصل الاجتماعي والنشاطية الإلكترونية.

بالمقابل، فإن اللّواتي إخترن النشاطية الرقمية، تعامَلنَ مع مواقع التواصل الاجتماعي كنقطة ارتكاز وانطلاق لنشاطهن السياسي. كما عبّرن عن كون النشاطية في المجال الرقمي، تتضمّن عنصر التشبيك والتواصل بصورة أوسع، ليعود ويبرز التنظيم السياسي كبعدٍ مهم للنشاط الإفتراضي وربّما يكون بديلاً عنها. وعلى إيجابية هذه المقاربة التي تظهر وكأنها تنشئ توازناً مع ما سبق الإشارة إليه فقد أعادو تعريف النشاط السياسي بين التنظيم والفردية، فإنّه في الواقع يضاعف من خطورة هذا المجال الذي يصعب توقّع التوازنات فيه وأثر المجموعات مقابل الأفراد، لا سيما أن هذه التوازنات تتبدل بتبدّل سياسات المنصّات وقرار الشركات العالمية برفع قيمة العمل الجماعي (مؤسسات، منظمات، صفحات) مقابل العمل الفردي (ملف شخصي) أو العكس. مقابل الاكتفاء بمقبولية الرأي وتبنيه من قبل شريحة من المتابعين وإعادة نشره والتفاعل معه بالنسبة للمؤثّرة. ومع هذه المقاربة تبدو الناشطة الرّقمية والمؤثّرة السياسية الرقمية متشابهتان، مع إيلاء جدّية أكثر لدور المؤثّرة على دور النّاشطة في المجال الرقمي. فالمؤثّرة تعبّر عن ارتباط وثيق بين قيمة البحث والتوثيق والمعلومات في بناء المصداقية وإحداث الأثر بالنسبة للمؤثرة السياسية. إنّ إيلاء التأثير مسؤولية أعلى من النشاط الرقمي، بمعنى أن تكون إعادة المشاركة والنشر أداة نشاط بينما البحث والتدقيق أداة تأثيرغايته بناء المصداقية حيث ينقل العمل السياسي من حيّز العمل لأجل هدف مركّز في الصالح العام إلى العمل لأجل هدف متصل بشخص المؤثّرة. وان كانت المشاركات لم تعبّرن عن اهتمام من هذا النوع تبعاً لكونهنّ في الواقع مهتمّات في الشأن العام ويرين في تثبيت مصداقيّتهن"الشخصية مصلحة للقضية التي يدافعن عنها، إلا أن أثر توسّع هذا الارتباط لا بدّ أن ينعكس في ممارسات مؤثّرات معنيّات ببناء قاعدة جماهيرية تحقّق لهنّ زيادة في الدخل من خلال نشر مواقف متّصلة بقضايا جماهيرية. إنّ هذا التطوّر يزيد التعقيد السياسي في حيّز غير معقّد بالأساس، وبالطبع تكون نتائجه أكثر تعقيداً في سياق واقعٍ كالواقع اللبناني. لا سيما إنّه عادةً ما تُدار القنوات التي يستخدمها المؤثرون السياسيون بشكل فردي، ويُنشَأ المحتوى عليها بشكل مستقل ودون ارتباط رسمي بمنظمات الإعلام الجماهيري أو الأحزاب السياسية، وهو الأمر الجوهري الذي يميّز المؤثر

السياسي عن الناشط السياسي. ويُعتبر المؤثرون السياسيون حاليًا من وكلاء التنشئة السياسية الذين يقدمون المعلومات للجمهور بحيث يمكنهم إطلاعهم أو تكملة المعلومات السياسية المتداولة في المجتمع.حيث إنّ دورهم في تبسيط المعلومات السياسية يسهّل على الجمهور، وخاصة الشباب، فهم القضايا السياسية، وهكذا يُعتبر المؤثرون السياسيون مساهمين ليس فقط في تقديم معلومات سياسية ولكن مساهمين أيضًا في التعليم السياسي.

لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أداة حاسمة في التعبئة النسوية، سواء عبر الاحتجاجات الواقعية أو الرقمية، حيث تُستخدم لنشر المعلومات وحشد الدّعم وتمكين الأصوات المهمّشة، مما يسهم في تشكيل السرديات الرقمية وتأثيرها في الرأي العام والسياسات. في المقابل، لم تعد الخوارزميات أدوات محايدة، بل تُمارس عبرها أشكالًا من العنف الرقمي، حيث يُسهّل تحويل البيانات إلى "حقائق" السيطرة الأمنية والتدخلات العسكرية، مثلما يظهر في استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي لاستهداف الفلسطينيين حيث تلعب الشركات التكنولوجية دورًا مباشرًا في الحرب على غزة، كما يتّضح من مشاريع دعم البنية العسكرية الإسرائيلية عبر تقنيات الذكاء الاصطناعي وتخزين البيانات، ومن ممارسات منصات التّواصل التي تتعاون بشكل كبير في تقييد المحتوى الفلسطيني، مع اعتماد معايير مزدوجة وتوظيف مسؤولين سابقين في مواقع حساسة. وسط هذه التحديات، أصبحت وسائل التواصل ساحة مركزية للصراع السردي، حيث تُمكّن النشر السريع للمحتوى وتضخيم الأصوات المهمشة، لكنّها تعزّز أيضًا غرف الصدى وتخضع الروايات الفلسطينية للرقابة القمعية، بينما تُستخدم لنشر الدعاية العسكرية. وإلى جانب ذلك، تسهم الخوارزميات في إعادة إنتاج أدوار جندرية نمطية (كالمرأة الضحيّة أو الجنديّة)، حتى مع فتحها لمساحات مقاومة نسوية، لكنها غالبًا ما تعزز المحتوى المربح على حساب الرسائل التقدمية. مع ذلك، تُجمع المشاركات على نفي أن يكون الدور الذي لعبْنه خلال الحرب على لبنان ذا طابع نمطي، حتى في العمل الإغاثي، إذ تولّت النساء أدوارًا قيادية واستراتيجية كالتنسيق والقيادة في الإغاثة، والمشاركة في بناء السرديات الإعلامية والسياسية، والتعبير عن مواقف سياسية واضحة، والتصدي لمواضيع حسّاسة كالعنف الجنسي والتّحرش، وتغطية الأحداث الميدانية. هذه الأدوار تعكس تحولًا في تصوّر دور النساء خلال الحروب، حيث لم تعد مقتصرة على المهام الرعائية التقليدية، بل أصبحت فاعلة ومؤثرة في مجالات كانت تاريخيًا حكرًا على الرجال. هكذا، تكشف وسائل التواصل الاجتماعي عن مشهد معقّد تتداخل فيه الحركات الاجتماعية، والصراعات السياسية، والمصالح الاقتصادية للشركات التكنولوجية، مما يستدعي تبنّي مقاربة نقدية تُسائل آليات المنصات وتحالفاتها، وتدافع عن الحقوق الرقمية ومكانة النساء في السرديات العامة للنزاعات.

على امتداد هذا المشهد المعقّد، لاحظت المشاركات تفاوتًا في تقييمهن لتأثير الحرب تبعًا للنوع الاجتماعي. فبينما أكدت بعضهن بشكل حاسم أن للحرب آثارًا متمايزة على النساء، عبّرت أخريات عن تردّد في الجزم بذلك، ليس تقليلاً من معاناة النساء، بل إدراكًا لتعقيدات الوضع وتشابك العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع العامل الجندري. كما أشارت بعض المشاركات إلى أن التضامن والتعاون المجتمعي الذي نشأ في بعض السياقات كان مصدرًا مهمًا للقوّة خلال الأوضاع الصعبة.

في موازاة ذلك، عبّرت المشاركات عن مستويات متفاوتة من الحساسية الجندرية، ما انعكس على مدى تركيزهن على النساء كعنصر أساسي في السرديات البديلة التي يعملن على صياغتها. فبينما أدركت بعضهن أهمية إبراز أدوار النساء وتوثيقها بشكل واعٍ واستراتيجي، تعاملت أخريات مع قضايا النساء بصورة أقل تركيزًا، معتبرات أن إبرازها مسألة تلقائية وليست أولوية موجهة.

وعلى صعيد العنف الرقمي، أشارت المشاركات إلى أن معظم الهجمات الإلكترونية المبنية على النوع الاجتماعي التي تعرضن لها وقعت في سياقات سابقة أو موازية للحرب، ولم تكن مرتبطة بها بشكل مباشر، فقد لاحظْن أنّ مستخدمي مواقع

التواصل خلال مرحلة الحرب تجنبوا إلى حد كبير استخدام الإساءات ذات الطابع الجندري، مما جعل التفاعلات معهن تندرج ضمن إطار العنف السياسي العام أكثر من العنف القائم على النوع الاجتماعي، مع ظهور محدود لتعليقات تحمل طابعًا جندريًا واضحًا. وبوجه عام، تركّزت الهجمات المرتبطة بالحرب على مضمون الموقف السياسي للمشاركات، أكثر من تركيزها على حياتهن الشخصية أو صفاتهن"الجندرية.

وفي سياق متّصل، عبّرت المشاركات عن فهم متنوع ومعقّد لمفهوم السردية، حيث تراوحت تعريفاتهن بين اعتبار السردية نتيجة لعمليات التأويل والتحليل والتوثيق وتنظيم هذه الجهود في إطار جماعي، وبين النظر إليها كأداة تُستخدم لصناعة البروباغندا، بحيث تكون العمليات السابقة وسيلة لإنجاحها وضمان أثرها واستمراريتها. كما اختلفت الرؤى حول طبيعة السردية: فبعض المشاركات اعتبرْنها واحدة متماسكة، بينما رآتها أخريات متعددة بطبيعتها. وبالنسبة للبعض، يمثل هذا التّعدد فرصة للإغناء وساحة مفتوحة للتفاوض، في حين اعتبره آخرون مصدرًا للتّشرذم وخسارة لفرص التغيير. واختلفت أيضًا مقاربات تفسير هذا التعدد: فبينما رأى بعضهن أنه نابع من اختلافات مفاهيمية طبيعية أو من تطور وسائل التواصل الاجتماعي، اعتبرته أخريات نتيجة حتمية لصراع المصالح ومحاولة فرض الهيمنة. وتباينت الآراء كذلك حول آلية بناء السردية؛ ففي حين شدّدت بعض المشاركات على أهمية الجهد الفردي المستمر في التوثيق، رأت أخريات أن بناء السردية لا يكتمل إلا بتنظيم جماعي واستراتيجيات واضحة.

أما فيما يتعلّق بالتفاعل الجماهيري مع محتواهن خلال الحرب، فقد لاحظت معظم المشاركات تغيّرًا ملحوظًا، حيث شهدت الغالبية زيادة في عدد المتابعين، لا سيما لأولئك اللواتي نشطْن في توثيق تجارب الحرب ونشر محتوى سياسي أو شخصي ذي صلة. بعض المشاركات، مثل آية أبي حيدر، أشارت إلى أن التوثيق الشخصي للحرب جذب جمهورًا جديدًا، يتّسم بالاهتمام بالقضايا السياسية كمنهاضة الصهيونية أكثر من القضايا الجندرية. رغم هذه التحولات، حرصت المشاركات على الحفاظ على مضمونهن "الأساسي، مع إدخال بعض التعديلات الشكلية مثل تحسين التصاميم أو تعديل نبرة الخطاب. كما ساهمت الحرب في زيادة اهتمام بعض المؤسسات بالمحتوى الرّقمي، لا سيما القانوني منه، مما دفع المشاركات إلى تبسيط اللّغة لجعلها أكثر قربًا وفهمًا للجمهور العام.